دراسات عقائدية

(٧)

سر الإفخارستيا

القديس العظيم الأنبا إبرآم
أسقف الفيوم والجيزة

إعداد
الأنبا أبرآم
أسقف الفيوم ورئيس دير الملاك غبريال
العامر بجبل النقلون

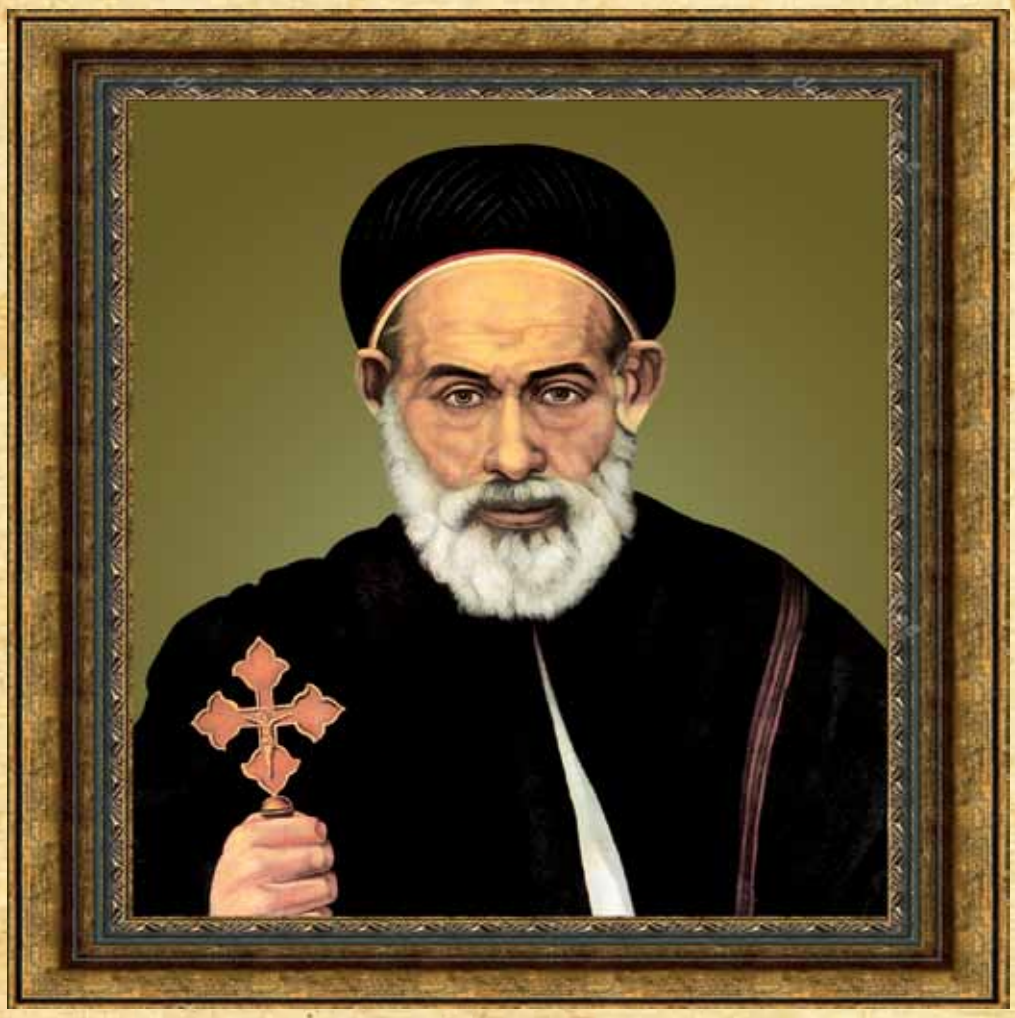

القديس العظيم الأنبا أبرآم

العيد المئوي للقديس العظيم الأنبا أبرآم

١٩١٤-٢٠١٤

اســـم الكتاب: سر الإفخارستيا

إعـــــداد : الأنـــبا أبـــرآم

أسقف الفيوم ورئيس دير الملاك غبريال العامر بجبل النقلون

إصـــــدار: دير القديس العظيم الأنبا أبرآم

ت / ٠٨٤٦٦٩٠٤٨١ - ٠٨٤٦٦٩٠٤٨٣ - ٠٨٤٦٦٩٠٤٧٢

الطبـــــعة: الأولى أغسطس ٢٠١٥م

تصميم وتجهيز وفصل ألوان : مطبعة كينج

المطبـــــعة: مطبعة كينج

ت / ٠٢٢١٨٢٢٦٧٣ - ٠١٢٢٣٤٥٦٨٠٢

رقم الإيـــداع: ١٥٦٤٧ / ٢٠١٥

حقوق الطبع محفوظة لمطرانية الفيوم

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

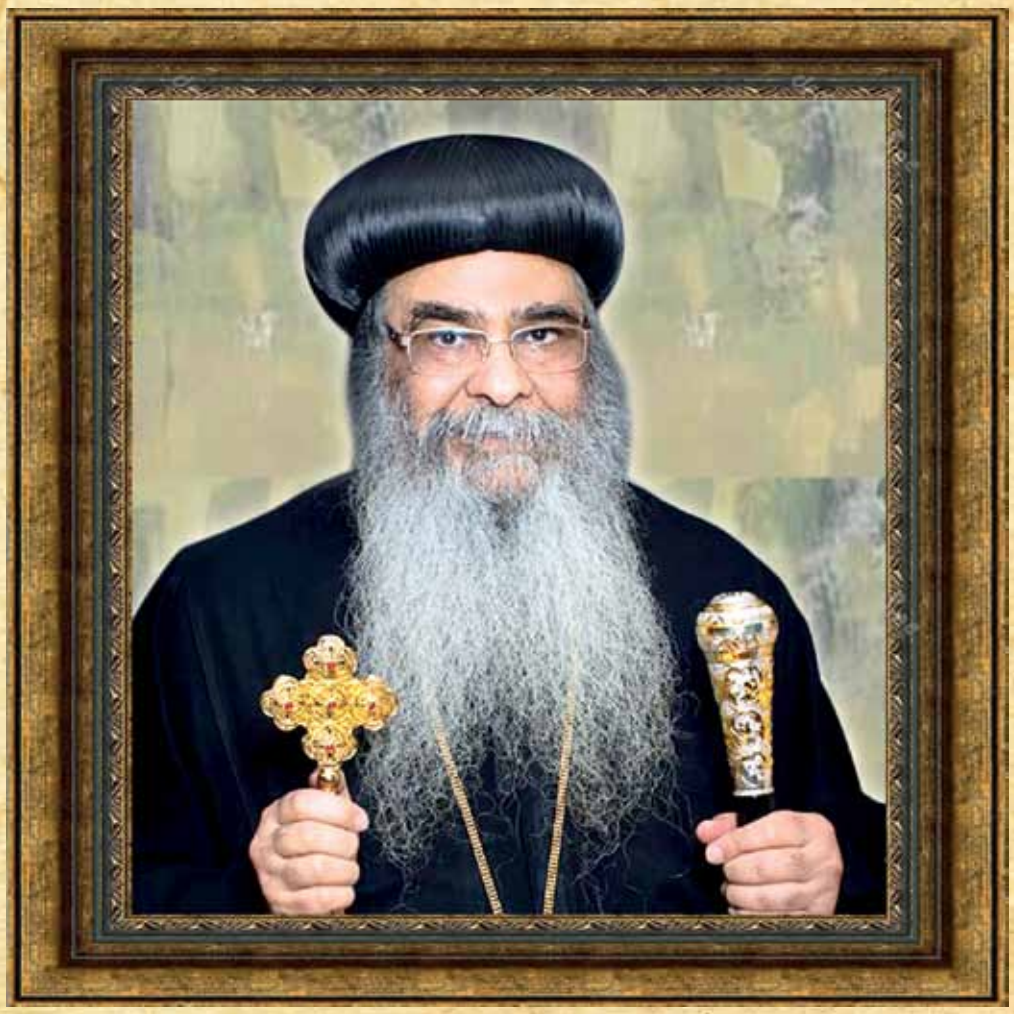

نيافة الحبر الجليل

الأنبا أبرآم

أسقف الفيوم

ورئيس دير الملاك غبريال العامر بجبل النقلون

مقدمة

+ سر الإفخارستيا له خصوصيته الهامة، بواسطته نتناول جسد الرب يسوع ودمه حقيقةً وليس رمزاً أو ذكرى، هو أكثر الأسرار التي يمارسها المؤمنون ،بل يستطيع المؤمن أن يمارس سر الإفخارستيا يومياً إذا كان مستعداً، وليست هناك بركات تفوق البركات التي ننالها عندما نمارس باستحقاق هذا السر .

+ سر التناول له مذاق خاص وأهمية لأن به نحصل على جسد الرب ودمه تحت أعراض الخبز والخمر الذي نتناوله داخلنا، ونلاحظ أن باقي الأسرار السبعة ننال مادتها من الخارج، فالماء في المعمودية والميرون والزيت في مسحة المرضى، وحلول الروح القدس في الكهنوت وسر الزيجة،كل هذه الأعراض ننالها من الخارج والروح القدس يعمل في الداخل. ولكن سر الإفخارستيا ننالة داخلياً لكي يطهرنا نفساً وجسداً وروحاً كما في باقي الأسرار.

+ سر التناول هو السر الذي يختص بالابن بصورة مباشرة، فكل الأسرار بما فيها سر الإفخارستيا لها علاقة مباشرة بالروح القدس الأقنوم الثالث، ولكن سر الإفخارستيا له علاقة بالابن مع الروح القدس، فالروح القدس يحل على الخبز الخمر ويستحيلهما لجسد الرب ودمه .

+ لا يوجد أحداً من الآباء القديسين أو غيرهم تأمل في سر التناول المقدس ولم يتمالك إلا أن يقدم آيات الشكر والعرفان للسيد المسيح من أجل محبته التي سمحت للإنسان أن يتقدم لجسده ودمه. وليس هناك كلمات يمكنها أن توفي اللّه حقه الذي بذل جسده وسفك دمه ليقدمه للإنسان فداءً عنه وحياةً له .

+ ونحن في هذا البحث المتواضع نحاول أن نوفي ولو جزء بسيط من محبة اللّه لنا التي أظهرها لنا على الصليب، والذي ننال بركته في سر الإفخارستيا.

+ فما هي البركات التي ننالها في سر الإفخارستيا، وكيف نستعد له، وما هي أهم الأسئلة والإستفسارات التي تدور حول هذا السر المقدس ،كل ذلك وأكثر سوف ندرسه معاً في هذا الكتاب المتواضع، سائلين اللّه أن يكون سبب بركة ومنفعة لكل مَن يقرأه وذلك بشفاعة كلية الطُهر أمُنا العذراء القديسة مريم ورئيس الملائكة الجليل غبريال المبشر وبطلبات كاروز ديارنا القديس مارمرقس ناظر الإله الطاهر والشهيد، والشهيد مرقوريوس أبي سيفين، والقديس العظيم أنبا أبرآم أسقف الفيوم والجيزة، وبصلوات أبينا البطريرك رئيس الأساقفة البابا الأنبا تواضروس الثاني أطال اللّه حياته ومتعه بالصحة والعافية سنيناً عديدة وأزمنة سلامية مديدة.

ولإلهنا الصالح كل مجد وكرامة منذ الآن وإلى دهر الدهور. آمين.

أبرآم
أسقف الفيوم
ورئيس دير الملاك غبريال بجبل النقلون

الباب الأول : مقدمة عامة

الفصل الأول : تعريف السر

سر التناول المقدس أو سر الافخارستيا (εὐχαριστία) حسب إيمان الكنيسة الأرثوذكسية هو إننا نتناول جسد حقيقي ودم حقيقي تحت أعراض الخبز والخمر. ولهذا تُسمّيه الكنيسة السر العظيم الذي للتقوى "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (١تى٣: ١٦).. فهذه هي ذبيحة الخلاص الحقيقية التي سلّمها السيد المسيح لتلاميذه في ليلة آلامه قبل صلبه مباشرة، يسمّيها البعض العشاء الأخير، ويسميه البعض الآخر العشاء الرباني، ويسميه آخرون العشاء السري.

+ سر الشكر هو سر مقدس، به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس ويشرب دمه الذكي تحت أعراض الخبز والخمر. ففيه الخبز والخمر يستحيلان (الإستحالة أو التحول) بحلول الروح القدس عليهما بصلوات الكاهن إلى جسد حقيقي ودم حقيقي للمسيح، وهو ما أعلنه بذاته (راجع يو٦ : ٢٨-٥١) وهو ما فهمه اليهود وقالوا (كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل).

كما كان هو نفس فهم التلاميذ إذ قال بعضهم للمخلص (هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه) (يو٦: ٦٠)

+ سر التناول هو ذبيحة تقدم لله، حسب تعليم المخلص نفسه، فقد أشار إلى أكله (يو ٦: ٥١) وأنه سيسفك عنكم (لو ٢٢: ١٩- ٢٠) فهو تذكار لذبيحة الصليب وفي نفس الوقت هو ذبيحة حقيقية.

+ سر التناول هو شركة حقيقية بين المؤمن وبين السيد المسيح، وبين المؤمنين بعضهم ببعض لأننا نشترك في جسد واحد وهو جسد المسيح، وذلك حسب كلام الكتاب المقدس على لسان القديس بولس " فإننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد (١كو ١٠ : ١٧).

الفصل الثاني: أهمية سر التناول

رغم أهمية كل الأسرار الكنسية وغزارة البركات التي نحصل عليها ولكن لسر التناول له إحتياج بين الأسرار السبعة المقدسة، فسر المعمودية يُقام مرة واحدة ولا يمكن تجديدها للتوبة كما قال بولس الرسول، بينما سر التناول على المذبح يومياً يعطى عنا غفراناً للخطايا وحياة أبدية. كذلك الكلام عن سر الميرون الذي فيه ننال نعمة الروح القدس الذي يمكن أن ينطفئ بالخطية وهذا السر لا يتكرر بينما سر التناول يجدد فينا موهبة الروح القدس كما نقول في صلواتنا التي تسبق التناول "روحك القدوس جدده في داخلنا".

+ هكذا في باقي الأسرار فمثلاً سر الكهنوت سر خاص بينما سر التناول سر عام للجميع، وسر الزيجة فيه يحل الروح القدس ويوحد بين الزوج والزوجة ولكن يمكن أن هذا الإتحاد ينفصل لعلة الزنا ولا يتحد مرة أخرى، ولكن في سر التناول نحن نتحد بالسيد المسيح وإن ضعفنا وأخطأنا نجده فاتحاً أحضانه وقلبه قبل زراعيه على الصليب (المذبح) لكي يغسلنا بدمه فنتحد به. كذلك في بقية الأسرار.

+ ولأهمية سر التناول أيضاً نجد الأناجيل الثلاثة الأولى تذكر بالتفصيل طقس هذا السر بل وكلماته، وإنجيل يوحنا الرسول أيضاً يخصص الأصحاح السادس من إنجيله للكلام حول سر التناول.

+ كذلك يمكننا أن نُرجع أهمية سر التناول لغزاره نعم الله، أهمية هذا السر عن الإدراك، لأن النعمة تعمل في باقي الأسرار بحالة غير منظورة، تحت مادة منظورة وتبقى تلك المادة غير متغيرة ولا مستحيلة (أي غير متحولة لمادة أخرى) أما في سر التناول فيستحيل جوهر المادة لأن الخبز والخمر- مع حفظهما شكليهما وأعراضهما- يتحولان بطريقة سرَّية عجيبة إلى جسد المسيح ودمه فعلاً.

+ إن المخلص له المجد في باقي الأسرار يعطى بعضاً من مواهبه الخلاصية بحسب كل سر منها أما في سر الشكر فإنه يقدم ذاته غذاءً مقدساً وبتناوله نتحد به ونثبت فيه إلى الأبد.

+ كذلك يمكننا أن نُرجع أهميتة وذلك لفرط محبة ربنا يسوع المسيح التي أظهرها في هذا السر، وسمو المواهب التي يهبها لنا بتناوله، فإن المخلص له المجد يمنح المؤمنين بواسطة باقي الأسرار بعضاً من مواهبه الخلاصيه بحسب طبيعة كل سر منها، ولكنه في سر الشكر يقدم لنا ذاته غذاءً مقدساً وبتناوله نتحد به إتحاداً تاماً ونثبت فيه إلى الأبد.

+ يمكننا أن نقول أخيراً في هذه النقطة أن كل سر من الأسرار يفعل في الشخص الذي يقبله، ولكن سر الشكر فضلاً عن كونه أكثر أهمية عن الإدراك وأكثر خلاصاً بين الأسرار، فهو أيضاً ذبيحة تقدم لله كفارة عن الجميع أحياءاً وأمواتاً.

الفصل الثالث: ألقاب سر الإفخارستيا

نظراً لأهمية سر الإفخارستيا فإننا لا يمكننا أن نُحصي الألقاب التي لقبها إياه الآباء فعلى سبيل المثال لا الحصر يمكننا أن نلقب سر الإفخارستيا بالآتي :

+**سر التناول**: "ثم تناول كأساً و شكر و قال خذوا هذه و اقتسموها بينكم (لو ٢٢ : ١٧)

+ **سر الأسرار** : لغزارة البركات التي نحصل عليها من خلاله، وأهميتة عن باقي الأسرار كما تكلمنا في الفصل السابق.

+ **سر الشركة**: "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح (١كو ١٠ : ١٦)

+ **سر القربان** : "و اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً و اسلم نفسه لإجلنا قرباناً و ذبيحة للّه رائحة طيبة (أف ٥ : ٢)، " لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين (عب ١٠ : ١٤).

+ **سر الإتحاد أو الزواج الروحاني** :لأن به نتحد بجسد الرب ودمه .

+**العشاء الرباني** :" فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب (١كو ١١ : ٢٠)

+ **ذبيحة العهد الجديد** :" لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٨).

+ ويمكننا أن نطلق على الجسد والدم الأسرار الإلهية أو المخوفة أو السماوية، أو نطلق عليه شجرة الحياة أو المن العقلي أو السماوي. والخبز السماوي أو الحقيقي أو الجوهري أو الحي.

+ وفي صلواتنا الطقسية نطلق على سر التناول (حمل اللّه)، "هوذا حمل اللّه الذى يرفع خطية العالم" (يو ١ : ٢٩)

وخبزنا الآتي. ونطلق عليه أيضاً المائدة المقدسة أو مائدة الرب (١ كو ١٠: ٢١).

الفصل الرابع: ذبيحة الإفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب

سر الشكر من حيث هو ذبيحة، وصفات هذه الذبيحة، ونسبتها إلى الذبيحة التي قدمت على الصليب.

أولاً: تعليم المخلص نفسه الذي أوضح هذه الحقيقة فقد قال عند وعده بإعطاء هذا السر "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦:٥١) ومن هذا الكلام الإلهي يتضح أن هذا السر الخلاصي هو ذبيحة غفران أمام الله.

ثانياً: إن الرسل الأطهار علموا هذا التعليم. فقد كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس يقول "أنظروا إسرائيل حسب الجسد. أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح. فماذا أقول. إن الوثن شيء أو أن ما ذبح للوثن شيء. بل إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرون أن تشربون كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين" (١كو١٠:١٨-٢١)، ففي هذه الآية يقابل الرسول مائدة الرب أي مذبح المسيحيين، بمائدة الشياطين أي مذبح الأمم الذي كانت تقدم عليه ذبائح-وان كانت رجسه وغير مقبولة-وبهذا يؤكد أن ما يقدم على مذبح المسيحيين في سر الشكر هو ذبيحة حقيقية أمام الله. " لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه " (عب ١٣:١٠).

ثالثاً: إن ذبيحة العهد الجديد سبق الله فأنبأ بها على لسان ملاخي النبي قائلا "ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود" (ملا١:١٠، ١١) وواضح من هذا القول أن النبي يتكلم عن ذبيحة جديدة طاهرة.

رابعاً: إن الكنيسة المقدسة قد علمت منذ نشأتها هذه الحقيقة وهي أن سر جسد يسوع المسيح هو ذبيحة حقيقية وتعترف بذلك في قُداساتها بأنها تقدم لله ذبيحة مقدسة ناطقة غير دموية حيث تقول "ففيما نحن أيضا نصنع ذكر آلامه..نقرب لك قرابينك من الذي لك" وعندما يبسط الكاهن يديه يقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع... يعطى عنَّا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه" وقوله "هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل إلهنا حمل الله الذي حمل خطية العالم كله".

خامساً: نجد أن هذا التعليم واضحاً في شهادات المجامع المسكونية فقد جاء في **قوانين المجمع المسكوني الأول** هذا التصريح"على المائدة المقدسة يوضع حمل اللّه الرافع خطايا العالم ويذبح من خدام اللّه ذبيحة غير دموية، **وجاء في شهادات مجمع أفسس هكذا** "إننا نقدم في الكنائس الذبيحة غير الدموية، وهكذا نلمس الأسرار المقدسة والمباركة ونتقدس بإشتراكنا بالجسد المقدس جسد المسيح مخلص العالم كله بدمه الكريم"**وجاء في أعمال مجمع نيقية** "لا الرب ولا الرسل ولا الآباء سموا"ذبيحة غير دموية" المقدسة من الكهنة "صورة" بل هم يسمونها دائما جسد الرب نفسه ودم الرب نفسه".

سادساً: شهد جميع الآباء بهذه الحقيقة في تعاليمهم. فقد قال **القديس أغناطيوس** "أن جسد الرب يسوع واحد، و دمه المهرق عنا واحد، خبز واحد كسر، وكأس واحدة وزعت للجميع. مذبح واحد لكل الكنيسة" (رسالة لأهل فيلادلفيا فصل ٤ وإلى أهل مغنيسيا فصل ٨ وإلى أهل أفسس فصل ٥) وقال **القديس يوستينوس الشهيد** "نقدم باسمه "ذبيحة" قد أمر الرب يسوع أن تقدم، وذلك فى سر الخبز والكأس وهي ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الأرض "ذبيحة طاهرة ومرضية للّه" (في خطابه إلى تريفن) وقال **القديس ايريناؤس** "إن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة ملاخي "لا إرادة لي بكم ...الخ" وينادى بأن الشعب اليهودي سيكف عن أن يقدم للّه ذبائح وأنه في كل مكان ستقدم ذبيحة طاهرة لاسمه الممجد في الأمم" (ضد الهراطقة) وقال **القديس يوحنا ذهبي الفم** "ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم لكننا نصنع تذكار موته وهذه الذبيحة التي كل يوم نقدمها هي واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة مثل الذبيحة التي كانت تقدم إلى قدس القديسين". وكما أنه رسم هو لتلك هكذا فهذه "الذبيحة" رسم لها. لأننا نقدمه نفسه دائماً حملاً واحداً ولا نقدم الآن خروفاً آخر بل الحمل نفسه دائماً "فالذبيحة" إذاً هي واحدة. أو هل المسحاء كثيرون لأن"الذبيحة" تقدم في محلات كثيرة؟ حاشا. لأن المسيح واحد في كل مكان، وهو هنا بكليته جسداً واحداً،كما أنه يقدم في أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة، هكذا"الذبيحة" أيضا هي واحدة " في تفسير العبرانيين مقالة(٧:١٦)، (١كو٤:٢٤)، وعلى رسالة أفسس(٥:٣) وخطاب (٤:٣)،(٤:٤) في الكهنوت) ونجد مثل هذه الأقوال في تعاليم جميع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً.

+ وهذه الذبيحة التي نُقدمها للّه في سر الشكر، هي الذبيحة التي قُدمت على الصليب، لأن الذي يُقدَّم على المذبح الآن هو حمل اللّه نفسه الذي قدَّم ذاته على الصليب لأجل خطايا العالم. وكما أن المخلص له المجد كان على الصليب مقدماً، هكذا الآن هو أيضاً المُقرِب والمُقرَب والضحِّية والمُضحي. وفي هذا المعنى قال **القديس يوحنا ذهبي الفم** "إن رئيس كهنتنا العظيم قَدَّم الذبيحة التي تُطهرنا.

ومن ذلك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً هذه الذبيحة نفسها، وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هي نفسها ستتمم إلى إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص"هذا اصنعوه لذكري"

+ غير أن بين ذبيحة سر الشكر والذبيحة التي قُدمت على الصليب فرقاً بالنظر إلى ظروفهما وطريقة تقديمهما:-

١. فإن المخلص قدم لأبيه على الصليب جسده ودمه الكريمين ذبيحة منظورة. وأما في سر الشكر فلا يقدمهما تقديماً حسياً منظوراً بل سرياً تحت شكلي الخبز والخمر.

٢. على الصليب قدم الذبيحة الإستغفارية لأنه رئيس الكهنة الأعظم. وهنا على المذبح تقدم تلك الذبيحة بواسطة كهنته.

٣. هناك على الصليب قدمت ذبيحة حقيقية بذبح الحمل وهرق دمه، وهنا بما أنه قام من الأموات ولا يسود عليه الموت مرة ثانية تُقدم الذبيحة في سر الشكر باستحالة سَّرية بدون هرق دم ولا موت. ولهذا سُميت هذه الذبيحة "ذبيحة غير دموية".

٤. بذبيحة الصليب حصل الخلاص لكل الجنس البشري وتم وفاء العدل الإلهي، وأما ذبيحة سر الشكر فإنها تستعطف الله دائماً للصفح عن خطايا الذين قُدمَت لأجلهم فينالون الحياة الأبدية بالتناول منها،

٥. إن ذبيحة الصليب قُدمت مرة واحدة على الجلجثة، ولكن ذبيحة سر الشكر فمنذ تأسيسها تُقدم دائماً وتقدم إلى الأبد إلى وقت مجيء المسيح الثاني في كل العالم، وعلى مذابح لا تُعد ولا تُحصى.. ونستنتج مما تقدم أن الذبيحتين متحدتان بلا انفصال وهما ذبيحة واحدة، الأولى أصل والثانية شجرة ثابتة من ذلك الأصل، غطت أغصانها كل كنيسة المسيح وتُغذي جميع الذين يطلبون الحياة الأبدية بالتناول منها.

+ ولهذه الإعتبارات إعتبرها جميع الآباء بأنها ذبيحة إستغفار تُقدم عن الأحياء والأموات، كما ورد في كتب القداسات وفي شهادات الآباء القديسين.

+ قال العلامة ترتوليانوس"إنها تُقدم عن الأحياء والأموات، (في الإكليل ٣ وفي وحدة الزيجة فصل ٩).

+ وقال القديس كبريانوس **"إنها تقدم عن الأموات" (رسالة٦٦).**

+ وقال القديس كيرلس الأورشليمي"إنها ذبيحة إستغفارية. **وإننا نُقدم المسيح مذبوحا لأجل خطايانا،مستغفرين الإله المُحب البشر عنا وعنهم"(في الاسرار٦:٨ ،٨:٥، ١٠).**

+ وقال القديس يوحنا ذهبي الفم "لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط الحال، ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الإلهية، ونأتي متضرعين لأجلهم للحمل الموضوع الرافع خطية العالم، بل لكي تحصل من ذلك تعزية لهم. ولا عبثاً يصرخ الواقف على

المذبح عند تتميم الأسرار من أجل جميع الراقدين بالمسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم. ولو لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات. فلا نكل إذاً في مساعدتنا للراقدين بتقديمنا الصلوات من أجلهم لأن التنقية العامة لكل المسكونة هي حاضرة. ولهذا نتجاسر أن نطلب من أجل المسكونة وقتئذٍ وندعو للراقدين والشهداء والمعترفين والكهنة" (مقالة٤١:٤ على١كو)

+ وفي مكان آخر يشهد أن أقامة التذكارات في سر الإفخارستيا عن الراقدين شريعة رسولية ويقول"لم يشرع عبثاً من الرسل إقامة تذكار الراقدين حين تتمم الأسرار الرهيبة لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك" (مقالة ٣ على رسالة فيلبي)

+ ويقول القديس كيرلس الأورشليمي"ثم بعد أن نتمم الذبيحة الروحية والعبادة غير الدموية نضرع إلى الله تجاه ذبيحة الإستغفار هذه من أجل سلامة الكنائس عموماً، ومن أجل الملوك، ومن أجل الجنود والمحاربين معهم، ومن أجل الذين في الأمراض، ومن أجل المتعبين، وبالإجمال من أجل جميع المحتاجين إلى مساعدة. فنطلب نحن جميعاً ونقدم هذه الذبيحة" (في الاسرار٥:١).

+ ذبيحة الإفخارستيا ليست ذبيحة أخرى غير ذبيحة الصليب، هي بعينها التي قدمها الرب يسوع بموته على الصليب، وهي بعينها نبع الخلاص، الذي تفجر في الصليب . فهي القناة التي توصل إلينا ماء الحياة الذي يجرى إلينا من ذلك النبع الحي، والماء الذي في القناة هو من نفس الماء الذي في النبع، ولا فرق بينهما، وهما متصلان معاً في طبيعتهما وفعاليتهما.

+ في سر الإفخارستيا ينقل إلينا الروح القدس بركات الصليب الخلاصية وكما أننا بالمعمودية المقدسة ننال التبرير عن خطايانا الجدّية والفعّلية السابقة للمعمودية وذلك بإستحقاقات موت فادينا على الصليب، كذلك ننال بسر الإفخارستيا غفران خطايانا الفعلية وذلك بإستحقاقات فادينا نفسها التي نبعت من صلبه وموته. وإذاً فإن كانت ذبيحة الصليب ضرورية لخلاصنا من خطايانا الجدّية والفعّلية فإن ذبيحة الإفخارستيا ضرورية لنيل الغفران عن خطايانا التي نقوم بها في كل يوم » وليس بأحدٍ غيره الخلاص « (أع٤:١٢) .

مقارنة بين سر الإفخارستيا وذبيحة الصليب

ذبيحة الإفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب في طبيعتها وجوهرها. قائمة بصفة دائمة على مذبح الكنيسة المسيحية ولكن :

أ- ذبيحة الصليب ذبيحة دموية سُفك فيها دم المسيح الرب بطريقة مادية منظورة

ملموسة محسوسة. أما ذبيحة الإفخارستيا فغير دموية وتتم بطريقة سرية غير محسوسة ولا ملموسة ولا منظورة، وتتم تحت أعراض الخبز والخمر .

ب- ذبيحة الصليب ضرورية لخلاصنا من خطايانا الموروثة والفعلية، وذبيحة الإفخارستيا ضرورية لنيل الغفران عن خطايانا التي نرتكبها في كل يوم .

جـ- ذبيحة الصليب قُدمت على الصليب مرة واحدة ولا تتكرر إلي الأبد . أما ذبيحة الإفخارستيا فتُقدم في كل يوم يُقام فيه القداس توسلاً باللّه واستشفاعاً باستحقاقاته الخلاصية والكفارية لخلاص أرواحنا من الهلاك الأبدي. واسترحاماً واستعطافاً للّه عن خطايا جميع الناس ولا سيما الذين قدموها والذين قُدمت بواسطتهم كأمر مخلصنا الذي رسم إقامة هذه الذبيحة بصفة متصلة بقولة لرسله ولكنيسته إلي انقضاء الدهر: "اصنعوا هذا لذكري".

د- ذبيحة الصليب قبلت الألم والتعذيب والموت وأما ذبيحة الإفخارستيا فلا تقبل شيئاً من ذلك.

هـ- ذبيحة الصليب ساهم في تقديمها يهود أشرار وعسكر الرومان بنية الإنتقام والغدر والخلاص من صوت الحق . وأما ذبيحة الإفخارستيا فيساهم في تقديمها كهنة المسيح وخدامه وشعبه توسلاً به واستشفاعاً باستحقاقاته الخلاصية الكفارية لخلاص أرواحهم من الهلاك الأبدي.

الفصل الخامس : ذبيحة الإفخارستيا وشفاعة المسيح الكفارية

شفاعة الرب يسوع الكفارية(على الصليب) قائمة متصلة أي مستمرة إلى الأبد على الرغم من أن المسيح قدَّم كفارته مرة واحدة بموته على الصليب بفاعلية أزلية » لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجْلَة يرش على المُنَجَّسين فيقدسهم لتطهير الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بالروح الأزلي قدَّمَ نفسه للّه (اللّه الآب) بلا عيب « (عب٩:١٤) ، «فلذلك هو قادر أن يخلص على الدوام الذين يتقربون به إلى اللّه إذ هو حي كل حين ليشفع فيهم« (عب٧:٢٥) .

+ ولأجل أن ذبيحة الإفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب فهي بذلك ذبيحة شفاعة قائمة فينا عن خطايانا الفعلية التي نرتكبها بعد المعمودية.

في ذلك يقول القديس يوحنا الرسول «أيها الأبناء إني أكتب إليكم هذا لئلا تخطئوا، وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار (أي القدوس)، وهو كفارة عن خطايانا، وليس عن خطايانا فقط بل عن خطايا العالم كله أيضاً« (١يو٢:١و٢) ، ◁أنظر أيضاً: (عب٩:٢٤-٢٨)، (إش٥٣:١٢)▷ .

وبهذا المعنى يهتف الكاهن في القداس الإلهي، ويصرخ للسيد المسيح قائلاً : "شعبُك وبيعتُك يطلبون إليك، وبك، إلى الآب (الكائن) معك" (عن قداس القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس) .

+ وقد علَّمتنا الكنيسة المقدسة أن سر الشكر هو قربان وذبيحة إستغفارية عن كل الشعب وجميع الناس وسائر الخليقة، وخصوصاً عن الذين قُدِّمتْ عنهم والذين قُدِّمتْ بواسطتهم.

الفصل السادس : سر الإفخارستيا ذكرى عينية بالرب إلي مجيئه الثاني

ذكرى الإفخارستيا ذكرى عينية لذبيحة الصليب مثلها مثل قسط المن الذي كان قد أمر الله بأن يُحفظ في قدس الأقداس، ومثل خروف الفصح فكما صار الأمر إلى بني إسرائيل أن يصنعوا خروف الفصح تذكاراً لذلك الخلاص الذي تم مرة، صار الأمر إلى كنيسة المسيح من قِبَل الرب نفسه أن يصنعوا سر التناول وهو فصح العهد الجديد تذكاراً دائماً لموت الفادي وخلاصه العجيب إلى أن يجئ .

+ ذبيحة الإفخارستيا ليست صورية وليست أثرية لأن سر الإفخارستيا ليس شيئاً باقياً من مخلفات حادثة الصلب. كما أنها ليست خبراً ولا رواية.

و"الذكرى" ليست بمعنى تذكر حدث ماضي إنتهى مفعوله ولكن هي إحياء وتحقيق وحضور حي حقيقي لنفس الحدث ويشترك فيه المؤمنين أي جعل الماضي حاضراً فعالاً مثمراً متعلقاً بما يحياه المؤمنون في حاضرهم، ففي سر الإفخارستيا المؤمنين بها يحيون سر خلاصها الذي حققه ربنا يسوع المسيح بموته وقيامته وبكل حياته، أعماله وآلامه الخلاصية.

+ وفي ذلك يقول ذهبي الفم: "إن الأسرار التي تُقام أمامنا ليست من عمل إنسان فالذي أقامها في ذلك الزمان في ذلك العشاء الأول هو بعينه الذي يقيمها الآن وأما نحن (الإكليروس) فلسنا سوى خُدام الله، ولكنه هو بنفسه الذي يقدس القرابين وينقلها، فهذه المائدة وهي نفس المائدة التي كانت في ذلك الزمان ولا تنقص عنها شيئاً ليس أن المسيح أقام تلك والإنسان (الكاهن) يقيم هذه الآن ولكن المسيح هو بنفسه الذي يقيم هذه أيضاً بالسوية فنحن الآن في العلية حيث كانوا مجتمعين في ذلك الزمان".

+ عندما تحتفل الكنيسة بإحياء ذكرى العهد الجديد في ليتورجية الإفخارستيا فإن الروح القدس يكون هدفه الأساسي أن يحقق بطريقة فعالة ومحسوسة إحياء الذكرى والرجاء المرجو في كنيسة العهد الجديد، لذلك الإحتفال بالإفخارستيا هو إحتفال بشخص ربنا يسوع المسيح رأس الكنيسة وبعهد الآب مع البشر وذلك بفعل الروح القدس.

+ فعندما تحتفل الكنيسة بإقامة الإفخارستيا فإن الروح القدس يجعل عهد الله مع البشر عهداً حاضراً لا يخص الماضي فحسب بل الحاضر،كما إنه يدخل هذا العهد الجديد في قلوب أعضاء الكنيسة المشتركين في السر في حاضر حياتهم وهذا ما تقوله ليتورجية القداس الباسيلي في صلاة إستدعاء الروح القدس، فيقول الأب الكاهن "نطلب من صلاحك يا محب البشر أن يحل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين" أي أن الروح القدس يحل لكي ما يحول القرابين ويعلن حضور المسيح وعهد الآب الخلاصي، هذا من جانب ومن الجانب الآخر فإنه يهيئ الكنيسة لتتقبل عهد الله الخلاصي في حاضر حياتهم وتهيئة قلوبهم لذلك.

+ فالروح القدس يحقق لكل عضو في الكنيسة ما أتمه الرب يسوع من أعمال خلاصية (كنائب عن البشرية) فيصبح هذا الخلاص خلاصاً حاضراً لكل مؤمن لا خلاصاً ماضياً أو مستقبلياً بل خلاصاً خاصاً بكل عضو فى الكنيسة المقدسة لا خلاصاً عاماً مجرداً. أى أن الروح القدس في الأسرار المقدسة - كما يقول الرسول بولس - يجعلنا نشترك مع المسيح في آلامه لنشترك معه في مجده "

الفصل السابع : سر الإفخارستيا سر الاستحالة :

إن التقدمة المقدسة لا تبقى بعد البركة خبزاً بسيطاً ولا خمراً بسيطاً بل يتناولهما المؤمنون بأنها جسد المسيح نفسه حسب قوله الطاهر. وذلك يتم باستحالة سريَّة لا تُدرك بالحواس ويتضح ذلك مما يأتي:

أولاً: قول الرب "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء .إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦:٥١)، وحين سلَّم تلاميذه هذا السر قال "خذوا هذا هو جسدي. وهذا هو دمى"، وبولس الرسول كتب "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح" (١كو١٠:١٦).

ثانياً: إذا راجعنا جميع كتب القداسات المستعملة في كل الكنائس شرقاً وغرباً ،وهي قديمة جداً . نجدها كلها متفقه في تضرعاتها على هذه الكلمات "ليحل روحك القدوس على هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك. وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له..الخ" وهذا يدل على إيمان الكنيسة الجامعة الذي لم يتغير منذ القديم حتى الآن.

ثالثاً: مما ورد في أقوال الآباء التي سبق ذكرها حيث وردت فيها كلمات "ينتقلان، يتغيران، يستحيلان": -

+ **كما قال القديس غريغوريوس** "إنني أعتقد وأقر بالحقيقة أن الخبز يستحيل اليوم أيضا إذ يتقدس بالكلمة الإلهية إلى جسد الإله الكلمة" (تعليمه فصل٣٧).

+ **وقال القديس أمبروسيوس** "كلما تناولنا القرابين المقدسة التي تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب" (في الإيمان ٤:١٠:١٢٤).

+ **وقال القديس افرآم السرياني** "إنكم تشتركون في جسد الرب الكلي القداسة بإيمان كامل غير مرتابين بأنكم تأكلون الحمل كله".

+ **وقال في موضع آخر** "إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به أيضاً ودمه الطاهر يصب في شرايينا، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا" (جزء ٣: ٤٢٤).

+ **الاستحالة** Alteration هي التحول من حالة ، إلي أخرى ، وهي في عقيدتنا الأرثوذكسية استحالة جوهرية سريَّة. فمن حيث المعني هي تغيير جوهري أي يتغير جوهر الخبز إلى جسد المسيح وجوهر الخمر إلى دمه ومن حيث الكيفية أو الطريقة هي تغير سري أي لا يُدرك بالحواس.

+ ونحن نؤمن في سر الاستحالة -أنه بصلوات الأب الكاهن المُرتبة بالقداس الإلهي على الخبز والخمر- يحل الروح القدس عليهما فيتحول ويتغير ويتبدل جوهر الخبز إلى جسد المسيح، وجوهر الخمر إلى دمه. وعلى ذلك يغتذى المؤمن روحياً بجسد المسيح الحي ودمه الطاهر تحت أعراض الخبز والخمر .

+ وعقيدتنا الأرثوذكسية هذه قائمة على النطق الإلهي وشهاداته "**أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم** (إشارة إلي زمن تسليم السر المقدس ليلة آلامه) **لأن جسدي هو مأكل حق ودمي هو مشرب حق**" . (يوحنا ٦: ٥١ ، ٥٥).

وقائمة أيضاً على فاعلية أمر مخلصنا : " **خذوا كلوا فإن هذا هو جسدي ... اشربوا من هذا كلكم فإن هذا هو دمي**" (مت ٢٦: ٢٦-٢٨) .

+ ونؤمن أن الجسد الذي نتناوله هو الجسد المتحد بلاهوته... يقول الأب الكاهن في نهاية القداس الإلهي "... أؤمن أؤمن أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي أخذه ابنك الوحيد ... من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ..."

+ فالجسد الذي نتناوله هو الجسد المتحد بلاهوته ولذلك قال رب المجد "**فمن يأكلني فهو يحيا بي**" (يوحنا ٦: ٥٧) . غير أنه وإن كان كل ما يحدث للمسيح ينسب للاهوت والناسوت معاً، فليس معنى ذلك أنه يصيب اللاهوت. فنحن إن قلنا إن الرب قد مات على الصليب فمع أن الذي مات ليس مجرد الناسوت بل الإله المتجسد فإن اللاهوت لم يمت. فعلى هذا المقياس إن كنا نأكل جسد المسيح الذي جعله واحداً مع لاهوته فإن الأكل والمضغ والتمزيق والهضم لا يصيب اللاهوت.

+ وعقيدة الاستحالة عقيدة قديمة جداً، وهي عقيدة الكنيسة في العصر الرسولي الأول وليس أدلَّ على ذلك من أن هذا التعبير ذكره القديس الفيلسوف يوستينوس الشهيد في كتابه "الدفاع الأول"، وقد كتبه سنة ١٥٠م أي بعد وفاة القديس يوحنا الرسول بخمسين عاماً.

+ قال القديس يوستينوس :" هكذا تعلمنا أن الغذاء الذي يتقدس بألفاظ الصلوات التي نطق بها هو (أي مخلصنا) وبه يتغذي لحمنا ودمنا بواسطة الاستحالة هو لحم ودم يسوع ذلك المتجسد " .

+ أما البروتستانت فيوحنا ويكلف وزوينكل وكلفن يعلمون أن الخبز والخمر مجرد إشارة وصورة ورمز ومثال ومجاز لجسد المسيح ودم.

+ أما أتباع لوثيروس (لوثر) فيعتقدون بحقيقة حضور الرب يسوع المسيح في سر الإفخارستيا غير أن حضوره إنما هو بواسطة دخوله في الخبز والخمر اللذين يلبثان غير متغيرين ولا مستحيلين وفي ذلك يقول لوثيروس :" إن جسد المسيح هو في الخبز مع الخبز تحت الخبز " .

+ويكفي للرد عليهم لبيان مَدَى إنحرافاتهم عن التعليم الأرثوذكسي الأصيل أن نذكر هذه الآيات المقدسة :

" إذاً أي مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون ..." (١كو ١١: ٢٧-٣٠) .

+ ولكن لماذا يُسمى الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول "الجسد والدم" خبزاً وخمراً . ذلك يرجع لسببين :

أ- لظهور السر أمام أعيننا على شكل خبز وخمر .

ب- بناءً على ما كان عليه قبل الاستحالة .

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب المقدس منها :

١- الماء الذي حوله السيد المسيح إلى خمر في عرس قانا الجليل . يقول الكتاب المقدس :"فلما ذاق رئيس المتكأ الماء ..." (يوحنا ٢: ٩) .

٢- عصا هارون التي تحولت إلى ثعبان :"ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم" (الخروج ٧: ١٢) .

٣. قول الكتاب المقدس عن لعازر عند قيامته :"فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ..." (يوحنا ١١: ٤٤) .

+ ويفسر مثلث الرحمات قداسة البابا شنوده الثالث هذه نقطة الاستحالة أو التحول قائلاً "إن عملية الاستحالة- بحلول الروح القدس بصلوات الكاهن - تظهر في قوله (هذا هو الجسد.. هذا هو دمي) ولم يقل الرب يسوع(هذا مثال جسدي أو مثال دمي)، كما لم يقل (هذا يذكركم بجسدي ودمي). وإذا كانت معجزة الله تتجلى في جسم الإنسان بتحول الطعام والخبز والشراب العادي إلى (دم) يجري في أوردة وشرايين الإنسان فهل يستعصى على الروح القدس أن يقوم بتحويل (القربان) وعصير (الكرمة) إلى جسد ودم حقيقي للمسيح؟"

الفصل الثامن : معنى كلمة "إفخارستيا"

كلمة "إفخارستيا"كلمة يونانية بمعنى (الشكر) حيث يشكر المؤمن الرب على نعمته التي أفاضها عليه كغذاء للروح، ودواء ناجع وشفاء النفس من داء الخطية المُهلك، ولأن الرب قد شكر عند إنشاء السر وتأسيسه.

وهذه التسمية مأخوذة من كلمات الشكر التي تحدث بها الرب في العشاء "أخذ خبزاً وشكر ..."(لو٢٢ :١٩)

وكما قال أيضاً بولس الرسول "فَإِنِّي قَدْ تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ إِيَّاهُ. وَهُوَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً، وَشَكَرَ، ثُمَّ كَسَّرَ الْخُبْزَ" (١كو١١ :٢٣- ٢٤).

+ فهي تعني (الشكر) أو الإحساس بالشكر أو المسرة والعرفان بالجميل. وكان اسم الإفخارستيا هو الاسم المحبوب لدى آباء الكنيسة خلال القرون الأولي ونبدأ أي قداس بصلاة الشكر. وبذلك تجد الكنيسة نفسها في سر الإفخارستيا يزداد دينها لدى الله بغير حدود إذ وهي تشكر الله خلال الذبيحة غير الدموية ذبيحة الابن وحيد الجنس تتقبله حياة تعيش به.

يمكننا أن نقول أن الإفخارستيا تحوي الشكر لله على كل النعم والعطايا بالأسرار الأخرى بصفتها ذبيحة المسيح (مؤسس الأسرار) حيث تستند إليها كل الأسرار فما من سر إلا ولابد أن يكون مرتبطاً بسر الإفخارستيا.

الفصل التاسع :معنى كلمة "ليتورجيا"

+ الليتوجيا كلمة يونانية في الأصل وهي تعني "الخدمة الجماعية" أو "عمل الجماعة" ، ووردت نفس الكلمة في رسالة العبرانيين بمعنى خدمة المذبح أو الخدمة الكهنوتية (عب٨ :٦)،(عب٩ :١٤). واستخدمت الكنيسة هذه الكلمة منذ العصر الرسولي للتعبير عن العبادة التي نظمتها الكنيسة قانوناً والتي يقدمها جميع أعضائها أو تقدم باسمهم جميعاً.وبمرور الزمن صارت كلمة ليتورجيا تطلق على سر الإفخارستيا وحده بالرغم من وجود ليتورجيات أخرى مثل ليتورجية قداس العماد وليتورجية الزواج.

معنى كلمة "قداس"

كلمة قداس من الكلمات السريانية التي دخلت اللغة العربية وهي تعني الصلوات التي يتقدس بها الشعب والتقدمة، وعندما نقول مثلاً القداس الباسيلي فنحن لا نقصد مطلقاً أن هذه الصلوات كتبها القديس باسيليوس ذلك أن القداسات وإن كانت تحمل

عدة أسماء لقديسين عظام. إلا أن هذه الصلوات معروفة في الكنيسة قبل أن يولد هؤلاء. وأولئك الآباء اللذين نطلق أسمائهم علي القداس هم من آباء القرن الرابع والخامس مثل باسيليوس وكيرلس وغريغوريوس. وذلك لأن هذا العصر هو عصر البدع والهرطقات ولذلك قضى الأمر أن يراجع هؤلاء الآباء الصلوات التي ورثتها الكنيسة وأن يشهدوا بصحتها فحملت هذه القداسات أسمائهم. أما الذي وضع هذه الصلوات هو الرب يسوع ورسله الكرام فالقديس بولس الرسول يقول "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً" (١كو١١ :٢٣)

الفصل العاشر : الإفخارستيا والعهد الجديد

يقول القديس بولس الرسول : » انظروا إسرائيل الجسدي (أي الشعب الإسرائيلي في مقابل إسرائيل الروحاني أى الشعب المسيحي) أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح؟ فماذا أقول إن الوثن شئ أو إن ذبيحة الوثن شئ؟ بل إن الذي تذبحه الأمم إنما تذبحه للشيطان لا للّه. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين، إنكم لا تستطيعون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشيطان، ولا تستطيعوا أن تشتركوا في مائدة الرب، ومائدة الشياطين « (١كو١٠:١٨-٢١) وهذه مقارنة ومقابلة يعقدها الرسول بين ذبيحة إسرائيل وذبيحة الوثنيين من جهة، وذبيحة المسيحيين من جهة أخرى.

والرسول نفسه يشير بصراحة في موضع آخر إلى ذبيحة العهد الجديد التي تقدم على مذبح الكنيسة المسيحية بقوله: »إن لنا مذبحاً لا يحق للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه« (عب١٣:١٠) وبهذا فرَّق الرسول مرة أخرى بين مذبح الكنيسة المسيحية ومذبح الكنيسة اليهودية، مشيراً أيضاً إلى الذبيحة التي تؤكل من فوق المذبح المسيحي والتي لا يحق لليهود بصفتهم هذه أن يأكلوا منها ، لأنهم لم يؤمنوا باسم المسيح.

ومخلصنا نفسه كشف عن هذا السر ليلة آلامه، وأبان أن فصح العهد الجديد ذبيحة حقيقية لأنه أعطى جسده لتلاميذه وقال: "خذوا كلوا فإن هذا هو جسدي الذى يقسم عنكم ويبذل من أجلكم لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكري « وأعطاهم الكأس قائلاً » خذوا اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك (يُهرق) عنكم ومن أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، هذا أصنعوه لذكري"

(الخولاجي المقدس) (مت٢٦:٢٦-٢٨) ، (مر١٤:٢٢-٢٤) ، (لو٢٢:١٩و٢٠) .

+ وإلى هذه الذبيحة المسيحية أشار النبي ملاخي متنبئاً عندما قال لليهود غاضباً : "ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود، ولا أقبل تقدمه من أيديكم، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم ، وفي كل مكان يقرب لإسمي بخوراً وتقدمة طاهرة ، لأن اسمي عظيم بين الأمم « (ملا١:١١).

الفصل الحادي عشر :سر الإفخارستيا ذبيحة عن الأحياء وعن الأموات أيضاً .

سر الإفخارستيا ذبيحة عن الأحياء وعن الأموات أيضاً، لأن الراقدين القديسين لا تخلو حياتهم على الأرض من دنس أو خطأ، ولهذا تصلي الكنيسة من أجلهم وترفع ذبيحة الإفخارستيا إستغفاراً وإستمطاراً لمراحم الرب عليهم عن خطاياهم "إن كان قد لحقهم توانٍ أو تفريطٍ كبشر" كما أمرت الكتب المقدسة (١يو١:١٦و١٧) ◁قارن (مت ٣:١٢)▷ . وكما فعل القديس بولس الرسول عن أونيسفورس (٢تي١:١٦) ◁ قارن (٢تي٤:١٩)▷ وكما سارت الكنيسة إبتداءً من عهد الرسل الأطهار (١كو١٥:٢٩) .

"ومن قال كلمة على ابن الإنسان تغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي" (مت١٢:٣٢) هذه الآية تثبت إمكان غفران بعض الخطايا (وهي الخطايا غير المميتة (السهوات والضعفات).

+ لأنه كما غُفرت بدم المسيح الذي سفك على الصليب خطايا جميع الناس السالفة (السابقة) (رو٣:٢٥) للأحياء والموتى .

+وباستحقاقات دم المسيح أُطلق سراح المقبوض عليهم في الجحيم (١بط٣:١٩) ، (أف٤:٨و٩). كذلك باستحقاقات دم المسيح عينه(أف١:٧)

في ذبيحة الإفخارستيا تستشفع الكنيسة المجاهدة في سؤالها من أجل الراقدين حتى يغفر الرب لهم خطاياهم غير المميتة (١يو١:١٦و١٧) التي سهوا بها "السهوات من يشعر بها "(مز١٨ الطبعة البيروتية ١٩ :١٢) .

ومن صلوات القداس الإلهي :

+ يقول الكاهن في صلاة الحجاب (يقولها سراً مقابل حجاب المذبح وقبل أن يصعد إلى المذبح) من قداس القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس: "... نعم يا رب لا تردني ذليلاً مخزياً، بل إرسل علىَّ نعمة روحك القدوس، واجعلني مستحقاً أن أقف أمام مذبحك المقدس بغير وقوع في دينونة، وأقرّب لك الذبيحة الناطقة (أي العاقلة) غير الدموية بسريرة نقية، صفحاً عن خطاياي وسيئاتي، وغفراناً لجهالات شعبك، راحة وبرودة لآبائنا وإخواتنا الذين سبقوا فرقدوا في الإيمان الأرثوذكسي" .

وقد جاء في قداس القديس باسيليوس الكبير (المجمع) " لأن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك في تذكار قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، آباءنا الأطهار : رؤساء الآباء، والأنبياء والرسل، والمبشرين، والإنجيليين، والشهداء، والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا في الإيمان ..." .

(من صلاة ترحيم الأموات يقول الكاهن سراً) أذكر أيضاً يارب كل الذين رقدوا واستراحوا في الكهنوت والذين في كل رتبة (طغمة) المؤمنين (العلمانيين) تفضل يا رب أرح نفوسهم أجمعين في حضن آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب ... هؤلاء وجميع الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم، والذين هم في فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فينا (أي ليسوا في فكرنا). والذين رقدوا واستراحوا في إيمان المسيح ... أولئك الذين أخذتَ نفوسهم أرحهم في فردوس النعيم، في عالم الأحياء، إلى الأبد، في أورشليم السمائية " .

+ **يقول القديس كيرلس الأورشليمي** (٣١٥-٣٨٦م): " ثم نذكر أيضاً أولاً أولئك الذين رقدوا قبلنا، البطاركة والأنبياء، والرسل والشهداء، حتى يقبل الرب ابتهالنا بصلواتهم ووساطتهم. بعد ذلك نذكر الآباء القديسين والأساقفة الذين سبقوا فرقدوا من قبلنا. وبالإجمال نذكر جميع الذين رقدوا من بيننا في السنوات الماضية، مؤمنين أنه سيكون تحت نفع جزيل للأرواح التي نصرخ عنها، في وقت تقديم الذبيحة المقدسة والرهيبة جداً ... فمع أنهم خطاة لكننا نقدم المسيح مذبوحاً من أجل خطايانا، مستغفرين إلهنا الرحيم من أجلهم ومن أجل نفوسنا أيضاً. (في الأسرار فصل ٥ فقرة ١٠) .

ويقول القديس كيرلس عمود الإيمان : " يليق أن نصلي لأجل الموتى، وأن نقدم لأجلهم الذبيحة السرية لنجعل الله عطوفاً عليهم".

+ **ويقول القديس كيرلس السكندري أيضاً :** "ما الذي يناقض العقل في كون المسيح الحاضر بجسده (على المذبح) يقبل تضرعات لأجل الذين رقدوا في الإيمان؟ إذاً تقديم الذبائح لأجل الآخرين (الذين رقدوا) فعل لا يرذله الله، بل يسوع فعله بلا ريب ولا خطأ" .

+ **ويقول الكاهن أنسطاثيوس القسطنطيني** معقباً على أقوال القديس كيرلس عمود الإيمان: "إن ذلك الأب الحكيم الصالح (أي القديس كيرلس) يبرهن بإسهاب على فائدة الذبائح والصلوات والصدقات لأجل الموتى، مستعيناً لذلك بالكتب المقدسة وبقوانين وعوائد الكنيسة الجامعة المقدسة".

+ **ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم** (٣٤٧-٤٠٧)م في مقالة له على رسالة كورنثوس الأولى يخاطب المرأة التي مات رجلها: "وقد يحتاج الميت المساعدة على قدر ما يكون ممكناً لا بالدموع بل بالصلوات والتوسلات والصدقات وتقدمة القرابين، لأنه لم يرتب هذا الترتيب على بسيط الحال ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الإلهية، إذ نقدمها

لأجلهم مبتهلين إلى الحمل الموضوع على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل الجميع الذين رقدوا بالمسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم. ولو لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات، لأن أعمالنا ليست هي ملاعب معاذ الله، بل هي مقامة كلها لأن الروح (أى الروح القدس) أمر بها، فسبيلنا إذاً أن نساعدهم ونكمل من أجلهم التذكارات ... لماذا تَشُكّين إذاً في أن يصير نفع ما للأموات مما يقدم عنهم، لأن من عادته تعالى أن يهب (البركات) لأناس لأجل آخرين (أي بسبب صلوات الآخرين لهم) فلا نكل إذاً عن مساعدتنا للراقدين وتقديمنا الصلوات من أجلهم. فلماذا إذاً تحزنين، إذا كان يمكن أن يصير للمتوفى نفع بهذا المقدار.

ويقول القديس نفسه في موضع آخر: "لم يُشَرَّعْ عبثاً من الرسل إقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة، لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك".

+ **ويقول القديس أوغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠ م) : ينبغي أن لا نرتاب أبداً في أن صلوات الكنيسة، والذبيحة الإلهية، والصدقات تسعف المنتقلين الذين تقدم لأجلهم لكي يكتر لهم الرب رحمته غير ناظر إلى ما استحقته خطاياهم. هذا ما سلمه إلينا الآباء وتحفظه الكنيسة".

الفصل الثاني عشر :الغفران في سر الإفخارستيا وسر التوبة

ننال الغفران ليس بسري الإفخارستيا والتوبة فقط وإنما أيضاً بسر المعمودية وبسر مسحة المرضى.

أ- سر المعمودية يغفر الخطايا:

قال الروح القدس على فم القديس بطرس: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا" (أع ٢: ٣٨). وقال الروح القدس على فم حنانيا الرسول: "والآن لماذا تتوانى قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب". (أع ٢٢: ١٦).

ب- سر مسحة المرضى يغفر الخطايا:

جاء في رسالة يعقوب الرسول: "أمريض احد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه و يدهنوه بزيت باسم الرب (يع ٥ : ١٤)

+ لكن لكل سر عملاً خاصاً به ينفرد به عن غيره، وإن كانت الأسرار جميعاً ينقل بها الروح القدس إلينا إستحقاقات المسيح الكفارية وعن طريقها ننال غفران خطايانا بفاعلية الروح القدس فيها (هي جميعاً قنوات لتوصيل بركات الفداء لغفران الخطايا).

أ- ففي المعمودية ننال التبني والميلاد الثاني من فوق علاوة عن غفران الخطايا الفعلية (إذا وجدت قبل المعمودية) والخطية الجدية.

ب- وفي سر مسحة المرضى ننال الشفاء من أمراضنا الجسدية (لاسيما المتسببة عن علل روحية ونفسية) علاوة على غفران الخطايا الفعلية.

جـ- وفي سر الإفخارستيا ننال قوتاً لأرواحنا ينفعنا للحياة الأبدية، وثباتاً في المسيح واتحاداً به، وحياة أبدية علاوة على غفران خطايانا اليومية الفعلية.

د - سر التوبة هو السر المختص بفاعلية الروح القدس في الخاطئ التائب توبة حقيقية صادقة. وهذا هو السبب في أن سر التوبة يلازم جميع الأسرار الأخرى ويلزم ممارسته قبلها. فهو عادة يسبق سر المعمودية والميرون و الإفخارستيا ومسحة المرضى والزواج والكهنوت. لأنه هو السر الذي يتأهل به قابله لأن ينال باستحقاق سائر الأسرار الأخرى وينال بركاتها النابعة كلها من إستحقاقات المسيح الكفارية ولهذا يتطلب الكتاب المقدس ممن يتقدم إلى سر الإفخارستيا أن يختبر نفسه قبل التناول وإلا كان غير مستحق وبالتالي مجرماً إلى جسد الرب ودمه (١كو ١١: ٢٧-٢٩)..

الفصل الثالث عشر :الثبات في سر الإفخارستيا وسر الميرون :

يختلف الثبات في سر الإفخارستيا عنه في سر الميرون من حيث الدرجة لا من حيث النوع إذ الثبات بسر الميرون فيض من مواهب الروح القدس يكفل البقاء في حالة عدم العبودية التي أُعتق منها بالمعمودية المقدسة ولا يناله المؤمن إلا مرة واحدة. ولكن هذا الثبات ينمو بإستخدام وسائط التقوى من صلوات وتأملات وأصوام وقراءات وسير القديسين وأهم هذه الوسائط التناول بتواتر من الأسرار المقدسة. إن التناول من الأسرار الإلهية يجعل المؤمن يصل إلى الثبات الكامل.

+ وقد إستخدم السيد الرب تشبيه علاقة المؤمن به بعلاقة الغصن بالكرمة، فالمؤمن هو الغصن وأما فادينا فهو الكرمة الحقيقية (يو١٥: ٤-٦) . فكما يدخل الغصن المطعَّم في حفرة تحفر له بالشجرة فالميرون هو بمثابة الأربطة التي تشد الغصن إلى جزع الشجرة وتثبته فيها حتى لا يقع أو يسقط. لكن هذا الثبات يزداد ويتقوى ويتوطد منذ اللحظة التي يبدأ فيها الغصن أن يتغذى فيها بعصارة الحياة التي في الشجرة. وبذلك يصبح شريكاً في أصل الشجرة ودسمها فتسري الحياة منها إليه. يوم ذاك يصبح الغصن حياً بالشجرة ولن يموت مادامت الشجرة حية، ومادام الإتصال قائماً بين الشجرة وغصنها. فالثبات بالتناول من الأسرار المقدسة مصدر قوة وإثمار وإنتاج وإستقرار وإتكال وتسليم، وكذلك مصدر سعادة وفرح ولذة وسرور ومتعة روحية. ولذلك يردد المتناول بمعنى روحي وحسي ما قاله النبي قديماً بروح النبوة:

"ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (المزمور ٣٣ : ٨).

"حلقه حلاوة وكله مشتهيات" . "هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم" (نشيد الأنشاد ٥:١٦).

+ ويقول الأب الكاهن تعبيراً عن ذلك في صلاة بعد التناول مباشرة من القداس الباسيلي: "فمُنا إمتلأ فرحاً، ولسانُنا تهليلاً، لتناولنا من أسرارك الغير المائتة، يا رب فإن ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، الذي أعددته يا الله لمحبي اسمك القدوس، أعلنته للأطفال الصغار الذين لبيعتك المقدسة".

الفصل الرابع عشر : عدم إنقسام القدسات مع تفصيل أجزائها ، ووحدة السر:

إن كان الجسد المقدس يفصل ويقسم في سر الشكر، ويوزع على المؤمنين تحت شكلي الخبز والخمر اللذين بهما يصير الجسد والدم (منظورين وملموسين)، إلا أنهما كاملان بذاتهما وغير منقسمين. ولهذا نؤمن أن كل جزء من الخبز والخمر في هذا السر الأقدس حتى أصغر الأجزاء منها ليس هو جزء من جسد المسيح ودمه، بل ينال به المؤمن جسد المسيح كله ودمه كله، فجسد المسيح هو واحد ودمه واحد في جميع الأمكنه والأزمنه، والمسيح حاضر فيه بذاته. إن حضور الرب في الأسرار بعد التقديس هو ثابت وغير منقطع في وقت الشركة وبعده، خلافاً للذين يزعمون أن حضور الرب محصور في وقت اشتراك المؤمنين بالأسرار، وأن القرابين بعد الشركة ليست سوى خبز وخمر بسيطين.

+ وبما أن الخبز والخمر في هذا السر الأقدس هما جسد المسيح ودمه فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود.

+ قال القديس يوحنا ذهبي الفم "هذا الجسد لما كان بعد في هذا المذود خجل منه المجوس. ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقاً طويلة، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له. فلنقتدي إذاً بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السموات. لأن أولئك مع أنهم رأوه في مذود وضمن كوخ، ولم يروا شيئا مما تراه أنت الآن تقدموا برعب كثير. وأما أنت فلست تراه في مذود بل على مذبح، ولست ترى امرأة حامله إياه بل كاهناً واقفاً وروحاً طائرة على الموضوعات ونازلاً عليها بغزارة لأنك لست تنظر الجسد وحده فقط على بسيط الحال مثل أولئك، لكنك تعلم أيضاً قدرته وكل التدبير، وليس خافياً عليك شيء مما تمم به لأنك متعلم جميع الأسرار بتدقيق" (مقالة على تفسير ١كو٢٤:٥)

+ وقال القديس أغسطينوس "ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم يُقدم له عبادة إلهية" (على مزمور٩٨)

الباب الثاني : رموز سر الإفخارستيا فى العهد القديم

لقد أعطى السيد المسيح للبشرية منذ البدء تمهيداً لهذا السر، ففي العهد القديم توجد رموز وإشارات كانت مثالاً ورمزاً لسر التناول، وذلك لكي يرفع نظر البشرية، ويجعلها مستعدة لقبول جسده ودمه ..

وآباء الكنيسة يذكرون لنا ذلك في الرموز الآتية :

(١) شجرة الحياة (تك ١).

يقول القديس الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين في القرن العاشر "في الكنيسة شجرة الحياة الحقيقية أي جسد المسيح ودمه اللذان قال المسيح عنهما أن من يأكل جسدي ويشرب من دمي فله حياة أبدية" (يو٦:٥٤).

+ وكما هو مكتوب في صلاة قسمة سبت الفرح "أتيت يا سيدنا وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقية. وأنعمت علينا بشجرة الحياة التي هي جسدك الإلهي ودمك الحقيقي".

ومن ثم فسر التناول هو شجرة الحياة يأكل منها المؤمن فيحيا إلي الأبد ولقد مُنع عنها آدم الأول عندما سقط"لئلا يأكل منها فيحيا إلي الأبد" أما الذين جحدوا الشيطان وإرتوا في دم المسيح فصار لهم"سلطان على شجرة الحياة "وأن يأكلوا من شجرة الحياة"(رؤ٢٢ :١٤، ٢، ٧:)

(٢) ملكي صادق وتقديم الخبز والخمر (تك ١٤) .

ملكي صادق هذا شهد له الكتاب أنه كاهن اللّه العلي وكان يرمز للسيد المسيح، والسيد المسيح يشهد له سفر المزامير أنه الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق (مز ١٠٩) وكما قدم ملكي صادق لأبينا إبراهيم خبز وخمر قدم الرب الخبز والخمر كذبيحة إلهية وليس في صورة بركة كما قدمها ملكي صادق لكنه أعطاه لتلاميذه كحقيقة أبدية وفعل لا نهائي.

قدم ملكي صادق خبزاً وخمراً إشارة إلى الخبز الذي يتحول إلى جسد المسيح والخمر الذي يتحول إلى دم المسيح، وبهما على طقس ملكي صادق يدوم كهنوت المسيح في الكنيسة إلى الأبد بواسطة وكلائه الكهنة المسيحيين .

ومن أقوال الآباء في هذا :-

"قدم ملكي صادق خبزاً وخمراً للطعام الذي يرمز إلى الإفخارستيا "

القديس إكليمنضس السكندري (١٩٥م)

"أنت الكاهن على طقس ملكي صادق من هو بالأكثر كاهن اللّه العلي مثل ربنا يسوع المسيح الذي قدم للآب تقدمة ملكي صادق عينها. أي الخبز والخمر، مقدماً جسده ودمه "

الشهيد كبريانوس (٢١٠ -٢٥٨ م)

"نحن نذكر أن الأسرار قد انحدرت إلينا قبل زمان إبراهيم لأن ملكي صادق (الشخص المقدس) الذي قدم نموذجهاً كان بلا بداية أيام ولا نهاية حياة"

القديس أمبروسيوس

(٣) خروف الفصح (خر ١٢).

(١) يشهد بذلك القديس بولس الرسول "لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا" (١كو٥ :٧).

(٢) كان الخروف الذي يستخدم في الفصح يجب أن يكون صحيحاً بلا عيب (خر١٢ :٥) رمز للمسيح الذي هو حمل اللّه الذي يحمل خطية العالم والذي بلا عيب ولا دنس (١بط١ :١٩)، ولذلك يُختار من القربان ما هو صحيحاً سالماً ومن الخمر الجيد والكريم.

(٣) كان يُرش الدم على القائمتين والعتبة العليا أي على مثال الصليب بالدم، لأنه "بدون سفك دم لا تحدث مغفرة" (عب٩ :٢٢)

(٤) كان يؤكل مع فطير (خر١٢ :٨) "إذاً لنعيد لا بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق" (١كو ٥ :٨).

(٥) عبور الملاك المهلك يشير إلى مفعول سر الإفخارستيا الذي يعبر بنا الموت إلى القيامة في حياة أبدية.

(٦) يقول القديس هيبوليتيس "كما كان خروف الفصح لا تأكله إلا عائلة مجتمعة ومتحدة ومختومة بالدم هكذا سر الإفخارستيا ينبعث منه قوة سرية يصالح - يجمع - يوحد - يقدس"

(٧) إتخذ السيد المسيح من الفصح اليهودي المناسبة لإعلان عهده الجديد وتأسيس سر الإفخارستيا لذا سبق وأخبر تلاميذه "شهوة إشتهيتُ أن أكل الفصح معكم" (لو٢٢ :١٥)

(٨) كان يؤكل على الأعشاب المرة وذلك يرمز للتوبة والإعتراف والإنسحاق قبل التناول.

(٩) كانوا لا يبقون من خروف الفصح حتى الصباح كذلك لا يصح للكاهن أن يبقي من الأسرار لليوم التالي.

(١٠) كانوا يأكلونه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم وذلك يشير إلى قمة الإستعداد لأي من يريد التناول من الأسرار المقدسة.

(١١) يعيدونه فريضة أبدية. كما أن الأب يحكي لأولاده قصة الخلاص بواسطة خروف الفصح وذلك إشارة إلى كلام العهد الجديد عن سر الإفخارستيا "كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ" (١ كو١١ :٦)

(١٢) لا يأكل منه غريب كذلك مكتوب عن سر التناول "من أكل من هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون إستحقاق يكون مجرماً في جسد الرب (١ كو١١ :٢٧)

(١٣) من كان طاهراً وليس في سفر وترك عمل الفصح تُقطع تلك النفس من شعبها لأنها لم تقرب قربان الرب في وقته. وذلك إشارة إلي قول السيد المسيح . "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم"(يو٦ :٥٣).

(١٤) الخروف عندما يشوى يُعلق بين سيخين، رمز للصليب، و النار ترمز إلى الآلام التى إحتملها السيد المسيح على الصليب.

(١٥) وقد كان إلزاماً على كل نفس أن تأكل من خروف الفصح، وإلا تُقطع من شركة أبناء الله، وقد كان الآباء يمارسون هذا الطقس وهم منتظرين الخروف الحقيقي المسيح الذي ذُبح من أجل خلاص الإنسان.

بعض من أقوال الآباء في خروف الفصح :

"إن رش الدم يخلص الذين يُمسحون به، هذه حقيقة مثبتة في الكتاب المقدس حينما أمر أن مداخل البيوت أي العتبة العليا والقائمتين يلزم أن تُمسح بالدم هكذا سر المسيح فإنه يمنع دخول الموت بل ويجعل الموت عديم القدرة بالنسبة لمن يتقبله فلهذا إذ قد مسحنا بالدم المقدس نصير أقوي من الموت ونزدري بالفساد"

القديس كيرلس السكندري

"وتحقق سرّ الفصح في جسد الرب... فقد أُقتيد كحمل، وذُبح كشاه، مخلصًا إيانا من عبودية العالم (مصر)، ومحررنا من عبودية الشيطان كما من فرعون خاتمًا نفوسنا بروحه، وأعضاءنا الجسدية بدمه... إنه ذاك الواحد الذي خلصنا من العبودية إلى الحرية ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة ومن الطغيان إلى الملكوت الأبدي... إنه ذاك الذي هو (الفصح) عبور خلاصنا... هو الحمل الصامت الذي أُخذ من القطيع وأُقتيد للذبح في المساء، ودُفن بالليل... من أجل ذلك كان عيد الفطير مُرًا، كما يقول كتابكم المقدس: تأكلون فطيرًا بأعشاب مُرة، مُرة لكم هي المسامير التي استخدمت، مّر هو اللسان الذي جدف، مّرة هي الشهادة الباطلة التي نطقتم بها ضده"

الأب ميليتو من ساردس

"إن الخروف(الفصحي) كان رمزاً لخروف آخر روحاني، فكان ذلك ظلاً، وهذه هي الحقيقة، فلما ظهرت شمس العدل تقلص الظل وزال إزاء الشمس. على مائدة واحدة تم كل من الفصحين،الرمز والحقيقة ...كان الفصح اليهودي فانحل وحل مكانه الفصح الروحي، الذي وضعه المسيح. فبينما هم يأكلون ويشربون أخذ خبزاً وكسر وقال "هذا هو جسدي.."

القديس يوحنا ذهبي الفم

"كما أنه في الفصح اليهودي كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذي نزل بالمصريين.كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه ما لم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه"

القديس يوحنا ذهبي الفم

(٤) المن السماوي.

فى سر الإفخارستيا تحقيق عن إعلان العهد القديم عن المن فى البرية الذى كان كل من يأكله يموت أيضاً وأما الذي يأكل من العهد الجديد يحيا إلى الأبد (يو٦: ٤٩-٥٠)

لقد قارن الرب جسده الحبيب بالمن في (يو٦: ٤٧)" الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن في البرية و ماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان و لا يموت أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الآبد و الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم . . . الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا اللّه الآب قد ختمه.... الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لأن خبز اللّه هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم فقالوا له يا سيد إعطنا في كل حين هذا الخبز فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة من يقبل إليَّ فلا يجوع و من يؤمن بي فلا يعطش أبداً"

ويمكن أن نورد التشابه بينهما في النقاط التالية : -

(١) أعال المن الحياة الجسدية في برية سيناء بينما الجسد والدم يعولانا روحياً في برية الحياة الدنيا.

(٢) المن نزل من العلاء والجسد والدم هما لرب المجد الذي نزل من السماء وتجسد من العذراء.

(٣) المن كان طعمه كرقاق بعسل والرب يسوع حلقه حلاوة وكله مشتهيات.

(٤) كان الشعب يلتقطون المن كل صباح أي كان يؤكل كل يوم والإفخارستيا تقدم باستمرار ...كلما أكلتم = إستمرارية وهكذا ينبغي أن تستمر شركتنا مع جسد الرب ودمه وإلا هلكنا جوعاً في برية هذا العالم.

(٥) كان المن يُطحن ثم يُطبخ ليؤكل وهكذا سفك دم المسيح عنَّا وصار غذاء وحياة لمن يأكله.

(٦) إن كل من كان يرفض أكل المن في البرية كان مصيره الهلاك لا محالة هكذا كل من يرفض أكل جسد الرب ودمه الأقدسين.

(٧) بني إسرائيل أكلو المن بعدما عبروا البحر ...ونحن يُصرح لنا أن نأكل جسده ودمه بعد إجتيازنا مياه المعمودية.

(٨) كان طعاماً للكل.... وأخذ كل واحد قدر إحتياجه حسب أكله (خر١٦ :١٢) الغني والفقير والكبير والصغير وهكذا كان بني إسرائيل على كافة مستوياتهم يأكلون المن. والرب قدم جسده ودمه للجميع الكبار كما الصغار الفقراء كما الأغنياء.

(٩) كل من يخالف ويحتفظ بالمن لليوم التالي صار بالنسبة له دوداً ونتناً... وكل من يتناول بدون استحقاق يحمل فيه رائحة الموت عوض الحياة (١كو١١ :٢٧) كما أنه لا يُسمح للكاهن ببقاء أي من الأسرار المقدسة لليوم التالي.

(١٠) كان طعام مستقبلي وإعجازي هكذا لا معجزة تعلو على استحالة الخبز والدم إلى جسد المسيح ودمه.

(١١) المن أوصل بني إسرائيل إلي كنعان الأرضية. والجسد والدم يوصلنا إلي كنعان السماوية.

(١٢) وقد وضع الكتاب المقدس المن على مستوى شجرة الحياة التي في وسط الفردوس عندما قال يوحنا الرسول "من يغلب فسأعطيه أن يأكل المن المخفي" (رؤ٢ :١٧) وقد سبق وكتب " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله"(رؤ٢ :٧)

(١٣) يقول القديس أوغسطينوس في ذلك "إن المن قديماً يشير إلى خبز الإفخارستيا والمذبح قديماً يشير أيضاً إلى خبز الإفخارستيا ...هم أكلوا مناً ونحن نأكل شيئاً آخر غير أن التغذية الروحية كانت واحدة لهم ولنا".

(١٤) المن أعطاه الله لبني إسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر والسيد المسيح تكلم عن سر التناول في أصحاح كامل وهو الأصحاح السادس للإنجيل بحسب ما كتب معلمنا يوحنا الرسول وكان ذلك بعد معجزة تهدئة الأمواج وسير السيد المسيح على الماء.

(٥) الماء النابع من الصخرة في حوريب.

يقول القديس بولس الرسول " وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة في البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة واحدة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠ :١ - ٤)

ويقول القديس أمبروسيوس "الماء نبع من الصخرة لليهود والدم نبع لكم من المسيح... الماء روى عطشهم ساعة والدم يطفئ عطشكم للأبد...اليهود شربوا وعادوا فعطشوا أما أنتم فإذا شربتم فلن تعطشوا أبداً فذاك كان مثالاً وهذا هو الحقيقة "

كما يقول أيضاً "هم شربوا من الصخرة الروحية التي كانت ترافقهم وهذه الصخرة كانت المسيح، اشربوا أنتم أيضاً حتى يرافقكم المسيح. انظر السر :موسى النبي والعصا التي ضرب بها الصخرة كانت كلمة الله والماء تفجر وروى، هكذا الكاهن يقرع "بالصلاة" فيتفجر ماء الحياة داخل الكأس لحياة أبدية"

(٦) خبز الوجوه(لا ٢٤).

وكلمة "الوجوه" أي الحضرة الإلهية فيكون اسمة "**خبز الحضرة الإلهية**" أو"طعام الوجود في الحضرة الإلهية"فالمائدة تشير إلى المذبح والخبز يشير إلى ذبيحة القداس وكان هذا الخبز ميثاقاً أبدياً وكان يُسمى الخبز الدائم رمز للعهد المقدس الدائم بين الله وشعبه "اصنعوه إلى أن أجئ " (١ كو١١ :٦).

وفي هذا الصدد يقول القديس كيرلس الأورشليمي "إن الناموس كان يوصي بتقديم خبز الوجوه ودم الخروف وهو إشارة إلى جسد ودم المسيح"

(٧) جمرة إشعياء (أش ٦ : ٥ -٧).

"فطار إلىَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمي وقال أن هذه قد مست شفتيك فإنتزع إثمك وكفر عن خطيتك"

الملاك يشير إلى ملاك الكنيسة (الكاهن) والمذبح عليه جمرة النار يشير إلي المائدة الكهنوتية وعليها حمل الله والجمرة تشير إلى الجوهرة المقدسة التي نتناولها وقول الملاك لإشعياء النبي "أنتزع إثمك وكُفر عن خطيتك" يشير إلى مفعول الأسرار المقدسة كما نقول في القداس "يُعطى لمغفرة الخطايا" وكما أنه مكتوب في قسمة القداس الكيرلسي"وكما طهرت شفتي عبدك أإشعياء النبي إذ أخذ أحد السارفيم جمرة بالملقط من على المذبح.... هكذا نحن أيضاً... تفضل طهر أنفسنا وأجسادنا وقلوبنا وأعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية الحياة للنفس والجسد والروح التي هي الجسد المقدس والدم الكريم اللذان لمسيحك"

وفي صلاة قسمة أخرى يقول الأب الكاهن "لأني تقدمت للمس جسدك ودمك لشوقي في محبتك فلا تحرقني بهما يا جابلي بل إحرق كافة الأشواك الخانقة لنفسي"

ليس هناك ما يقدس الإنسان ويطهره أعظم من جسد الرب ودمه الأقدسين

الباب الثالث :نبوات العهد القديم عن سر الإفخارستيا

لقد مهَّد الله لعهد الدم والجسد منذ القديم وذلك بعمل المذابح وإصعاد الذبائح، فنرى أبونا إبراهيم عندما ظهر له الرب وقطع معه عهداً "لنسلك أعطي هذه الارض بنى مذبحاً للرب الذي ظهر له" (تك١٢:٧)

+ وعندما إنتقل إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته بنى مذبحاً للرب ودعاه باسم الرب (تك١٢:٨)

ونرى موسى النبي بعد أن كتب جميع أقوال الرب قام باكراً في الغداه وبنى مذبحاً في أسفل الجبل ونصب إثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الإثنى عشر. (خر٢٤:١-٤)

ومن هنا نرى أن العهد الإلهى مع الإنسان إرتبط بفكرة المذبح وتقديم ذبيحة لذلك نرى أن الشئ الثالث لتأكيد العهد وتحقيقه هو :

أن يقدم الإنسان ذبيحة تذكاراً لهذا العهد:

كان أول وعد بالخلاص هو لأبوينا الأولين آدم وحواء بعد السقوط بأن "نسل المرأة يسحق رأس الحية" (تك٣:١٥) وبهذا العهد تسلم أبوينا الأولين طقس تقديم الذبيحة الحيوانية عندما أشار لذلك سفر التكوين بأن الله صنع لآدم وحواء أقمصة من جلد وألبسهما (تك٣:٢١)

+ ثم نرى أبونا نوح والآباء البطاركة إبراهيم واسحق ويعقوب وكذلك أبونا أيوب البار حيث عرفوا إقتران الذبيحة بالعهد الإلهى.

وعندما كتب موسى جميع أقوال الرب وبنى مذبحاً في أسفل الجبل يقول الكتاب "وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس ونصف الدم -الآخر- رشه على المذبح وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال "هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الإقوال" (خر٢٤:٣-٨).

وبخصوص تسلم وصايا الله: لم تكن بالكلمات فقط بل كانت تقترن بالفعل "قال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم فصعد موسى إلى الجبل وغطى السحاب الجبل وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام وفي اليوم السابع دعيَّ موسى من وسط السحاب وكان منظر الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة" (خر٢٤:١٢-١٨).

العهد الإلهي يتحقق من خلال إشتراك مقدم الذبيحة من الأكل منها وكثيراً ما كانت تقام مأدبة روحية تقدم فيها ذبيحة لتثبت العهد بين الله وشعبه لذلك نرى أمر الرب فيقول "تذبحون ذبائح سلامة وتأكلونها هناك وتفرحون أمام الرب إلهكم" (تث٢٧: ٣٧)

وهنا نرى أن عهد الله كان بالكلمات على لوحي الشريعة ولكن عند تذكرها ترتبط بالذبيحة.

وكذلك في تثبيت العهد بين الله والملوك الذين يختارون ونرى ذلك مع شاول وصموئيل في (١صم٩: ٢٤)

ومن هنا يمكن القول أن العهد الإلهى يبرم بين الله والإنسان بالكلمة ويتثبت بالدم ويتوطد بصورة أكبر في الشركة بالأكل من الذبيحة.

الإحتفال بالعهد الخلاصي عن طريق الذبيحة والمذبح يجعل تحقق العهد حاضراً؛ كما ذكرنا سابقاً أن عهد الله الخلاصي مع شعبه لم يكن بالكلمات فقط بل مقرونة بالفعل الطقسي، هذا الفعل الطقسي يحقق العهد مع كل جيل يحيي ذكرى العهد ويجعل العهد الماضى حاضراً على الدوام.

فالخروج والخلاص لا يخصان ماضي للشعب فحسب بل حاضره في كل جيل لذلك كان علامة هذا العهد أن الشعب يقدم ذبائح إحتفالاً بالعهد مع الله ورغبة من الشعب في إعلان الأمانة لهذا العهد حيث أن العهد لا يتحقق بالممارسات الطقسية المادية فقط بل يتحقق بالذبائح الروحية "بذبيحة وتقدمة لم تسر أُذنيَّ فتحت محرقة وذبيحة خطيئة لم تطلب حينئذٍ قلت هأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني أن أفعل مشيئتك يا إلهى سُررت وشريعتك في وسط أحشائي" (مز٤٠: ٦-٨)

ولقد أكد الرب على إحياء ذكر العهد في كل جيل من أجيال بني إسرائيل فيقول: "ويكون لكم هذا اليوم (خروف الفصح) تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية.. ويكون حين تدخلون الأرض التي يعطيكم الرب كما تكلم إنكم تحفظون هذه الخدمة ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم إنكم تقولون هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل في مصر لما ضرب المصريون وخلص بيوتنا"(خر١٢: ١٤-٢٨)

ومن ثم نرى أن الله يطالب شعبه بفعل هذه الخدمة كذكرى للعهد الخلاصي مع إعلان الشعب الأمانة في العهد بحفظ وصاياه والسلوك بحسب هذه الوصايا في حياتهم لذلك ترى الله يطالبهم بذلك فيقول "أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم

على أجنحة النسور وجئت بكم إلىَّ فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب" (خر١٩:٤-٦).

وبهذا يطالب الرب أن يحيا الشعب بموجب العهد مع الله في الأمانة له أمانة تامة حتى يتجدد العهد معهم جيلاً بعد جيل. هذا العهد هو العهد الخلاصي من العبودية الحقيقية عبودية الشيطان والخطيئة.

عهد الله مع كنيسة العهد القديم كان رجاء الحدث المستقبلي للعهد الجديد

كان عهد الله الخلاصي يهدف دائماً إلى أن "تسكنون في الأرض التي أعطيتها لآبائكم وتكونون لي شعباً وأكون لكم إلهاً" (خر٣٧:٢٧،٢٦:٢٨). ويتحقق ذلك إذا رجع الشعب عن خطيئته، تورك الآلهة الاخرى.

وعندما تجاوز الشعب وترك العهد إستحق تأديب الله عن طريق السبي البابلي والاشوري، وعندما أخرجهم الله من السبي كان تجديد العهد من جديد بأن تكون له أرض وأن يظل الله إلها لهم وهم أبناء - وهذا هو الحب الالهي - إذا كان رجوعهم من القلب.

في القديم تم العهد القديم مع موسى النبي على جبل حوريب وقد تمم العهد الجديد على الصليب حيث بذل ربنا يسوع نفسه حتى المنتهى (يو١٣:١) من أجل أحباؤه (يو١٥:١٣) وبذلك حلت ذبيحة الصليب محل ذبائح العهد القديم الحيوانية، وأصبحت ذبيحة الصليب هي تحقيق للعهد الجديد واستبدل دم يسوع على الصليب دم الذبائح الحيوانية التي أصبحت بالتالي هي " ظل الخيرات العديدة" (عب)، وأصبح يسوع المسيح هو "وسيط العهد الجديد لدى الآب السماوي" (عب٩:٢٤) متمماً في لحمه ودمه على الصليب قصد الله الأزلي (أف١:٣-١٤) حتى تنال البشرية - المؤمنة بشخصه الإلهي - البنوة الحقيقية بالابن الوحيد يسوع المسيح، وفي الروح القدس (رو٨) أي في العهد الجديد. لذلك فالسيد المسيح على الصليب صرخ قائلاً "قد أُكمل"(يو١٩:٢٩).

وعلى الصليب تحققت جميع نبؤات العهد القديم، مجئ يهوه المخلص، سكب الروح القدس، قطع عهداً جديداً مع البشرية كلها لا مع شعب معين.

وإليك عزيزي القارئ النبوات بشئ من التفصيل:

(١) نبوة ملاخي النبي.

"لا توقدون على مذبحي مجاناً، ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم.لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم . وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم" (ملاخي ١ : ١٠ -١١) .

وترجمة لندن تقول " وفي كل مكان يذبح ويقرب لاسمي قربان مطهر".

في النبوة السابقة يتنبأ الكتاب المقدس ويتكلم عن تقدمة طاهرة تقدم باسم الرب في كل مكان.

ويقول في ذلك القديس ايريناؤس أسقف ليون الذي عاش في الجيل الثاني :"أن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد. فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الإثنى عشر وهو ملاخي حيث يقول (لا إرادة لي بكم ..وينادي بأن الشعب الأول(اليهود)سيكف عن أن يقدم للّه ذبائح. وأنه في كل مكان ستقدم ذبيحة طاهرة لاسمه المجد في كل الأمم"(الرد علي الهراطقة ٤ :١٧ :٥)

(٢) نبوة إشعياء النبي.

"في ذلك اليوم يكون مذبح الرب في وسط أرض مصر .....ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به"(إش ١٩ : ١٩ -٢١) .

ومتى عرف المصريون الرب وأي ذبيحة قدموها سوى ذبيحة العهد الجديد وأي مذبح بُني للرب في أرض مصر سوى ذاك المذبح الذي نقدم عليه دوماً جسد الرب ودمه الكريم.

اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع "(إش ٥٥ :١ – ٢)

(٣) نبوة إرميا النبي.

"لأنه هكذا قال الرب لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل، ولا ينقطع للكهنة اللاويين إنسان من أمامي يصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيئ ذبيحة كل الأيام" (أر٢٣ :١٧ -١٨)

فإن كانت ذبائح اليهود قد بطلت فإلى ماذا تشير هذه النبوة سوى إلى ذبيحة العهد الجديد التي يقدمها الكهنة الذين يصعدون البخور ويهيئون الذبيحة.

(٤) وليمة الحكمة.

في سفر الأمثال قال سليمان الحكيم "الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة. ذبحت ذبحها، مزجت خمرها في كأس، رتبت مائدتها.... هلموا كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتها" (أم ٩ :١ – ٥)

سليمان الحكيم في نبوته السابقة وإن كان يتكلم عن الأسرار عامة، ولكنه يخص عن سر التناول والذبيحة التي ذُبحت التي أُعطيت من أجل خلاص البشر بصفة خاصة.

(٥) نشيد الأنشاد.

"قد دخلت جنتي يا أختي العروس قطفت مري مع طيبي أكلت شهدي مع عسلي

شربتِ خمري مع لبني كلوا أيها الأصحاب اشربوا و اسكروا أيها الأحباء (نش ٥ : ١)
ليس هناك أحلى من جسد الرب الذي كالشهد، وليس هناك فرحاً كفرح دم الخروف الذي هو أشهى من أي خمر الذي هو رمز الفرح والتعزية الروحانية.

(٦) وليمة المسيا.

كما جاء في سفر إشعياء النبي " أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا حنطة وكلوا بلا ثمن خمراً ولبناً. لماذا تنفقون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع؟ استمعوا إليَّ إستماعاً .تعالوا إلىَّ إستمعوا فتحيا نفوسكم. معكم أقطع عهداً أبدياً حسب المراحم التي وعد بها داود" (إش٥٥: ١-٣)

نبوة النبي الإنجيلي السابقة إشارة واضحة إلى جسد ودم المسيح المقدم لكل إنسان بلا مقابل.

وفي ذلك يقول القديس ديديموس الضرير "يعني بالماء والروح القدس المعمودية أما الخمر والخبز في الماضي إلي تقدمة اليهود والآن يشيران إلي شركة الخلود التي يهبها جسد الرب ودمه".

(٧) المزمور الثالث والعشرون.

"الرب راعيَّ فلا يعوزني شئ في مراعٍ خضرٍ يربضني وعلى مياه الراحة يوردني ....هيأت قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ ....كأس روتني بقوة .."

وهذه نبوة ورمز واضح لسر التناول ومائدة الرب. فهنا داود النبي يتكلم عن المائدة المقدمة وعن الكأس التي تروي وهي جسد ودم السيد المسيح.

وكما يقول القديس كيرلس الأورشليمي "المائدة السرائرية هي جسد الرب الذي يعضدنا قبالة شهواتنا وضد الشيطان"

كما يقول أيضا "عندما يقول الإنسان للّه"رتبت قدامي مائدة "فإلى أي شئ يشير سوى إلى هذه المائدة السرائرية التي رتبها اللّه لنا.رتبها قبالة الأرواح النجسة.حقاً لأن تلك "مائدة الشيطان"هي إختلاط بالشياطين أما هذه "مائدة الرب "فهي شركة مع اللّه"

الباب الرابع: لماذا الخبز والخمر؟!

"كان من المناسب إذاً للسيد المسيح أن يحل فينا من ناحية، حلولاً روحياً بالروح القدس،و من ناحية أخرى أن يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدس ودمه الثمين، وهذا ما نناله في الإفخارستيا التي تهب الحياة تحت أعراض الخبز والخمر لئلا ننزعج إذا رأينا لحماً ودماً (بصورة فعلية) مقدمين على موائد كنائسنا المقدسة.إن اللّه تنازل لمستوى ضعفاتنا وسكب فيما هو مقدم أمامنا قوة الحياة، وحولهما إلى فاعلية جسده حتى تكون لنا فيهما شركة محيية، وحتى يكون فينا جسد ذاك الذي هو الحياة كبذرة محيية"

القديس كيرلس الكبير

أمَّا لماذا الخبز والخمر بالتحديد؟! فيمكننا أن نوجز ذلك في النقاط الآتية :-

السيد المسيح بنفسه قال في الأصحاح السادس من الإنجيل كما كتب مار معلمنا يوحنا الرسول:

"من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية و أنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦ : ٥٤)

" من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ و أنا فيه" (يو ٦ : ٥٦)

والكلام السابق يوضح وجوب التناول على الشكلين الخبز والخمر أو الجسد والدم.

السيد المسيح نفسه قد سبق فقال "أنا هو خبز.." فكما أن حياة الجسد تقوم على الخبز الذي يعني كل تغذية جسدية هكذا تقوم حياة النفس بجسد المسيح.

سُر الرب يسوع أن يعطينا ذاته قوتاً وغذاءً خلاصياً تحت شكل الخبز والخمر وذلك لكي يجرؤنا ويشجعنا على التناول منهما لأنه لو لم يحتجب تحت هذه الأعراض لما إستطاع المؤمنين أن يتناولوا جسده ودمه الأقدسين بأعراضهما الظاهرة.

أمرت الكنيسة أن يكون الخمر من عصير الكرمة (العنب) دون غيره لأن الرب إستعمله وقت صنعه هذا السر. وقد حذر مجمع قرطاجنة إستعمال غير الخمر (عصير الكرمة) في الإفخارستيا (قانون ٤٦). كذلك القانون الثالث الرسولي هدد بالقطع كل كاهن يستعمل في الإفخارستيا غير نتاج الكرمة.

إلى جانب كل ما سبق يُمكننا أن نقول عن ذبائح العهد القديم إنها كانت تُقدم على الشكلين فكان الدم يُرش على المذبح وجسد الذبيحة كان له إستعمالات أخرى ويتضح ذلك من كل طقوس الذبائح في العهد القديم وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد ما جاء في سفر اللاويين:

" إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يقربه إلى باب خيمة الإجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب. و يضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه. و يذبح العجل أمام الرب و يقرب بنو هرون الكهنة الدم و يرشون الدم مستديراً على المذبح الذي لدى باب خيمة الإجتماع. و يسلخ المحرقة و يقطعها إلى قطعها.

و يجعل بنو هرون الكاهن ناراً على المذبح و يرتبون حطباً على النار. و يرتب بنو هرون الكهنة القطع مع الرأس و الشحم فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح. و أما احشاؤه و أكارعه فيغسلها بماء و يوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب" (لا ١ : ٣ - ٩)

وفي خروف الفصح الذي هو رمز صريح لذبيحة الإفخارستيا نجد لزوم الشكلين فالدم يُرش على العتبة والقائمتين وجسد الخروف يؤكل في كل بيت.

الفصل الأول: - للخمر أبعاد رمزية كثيرة في الكتاب المقدس فهو: -

(١) رمز الحب.

نذكر حبك أكثر من الخمر"(نش١ :٤) ،"ما أحسن حبك يا أختي العروس كم محبتك أطيب من الخمر"(نش٤:١٠)

(٢) رمز السعادة والفرح.

"الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة ذبحت ذبحها مزجت خمرها" (أم٩ :١-٢)

(٣) رمز التعزيات الإلهية.

"وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً ويشربون خمرها ويصنعون جنات ويأكلون أثمارها .." (عا ٩ : ١٤)

ويقول إشعياء النبي "ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمر .." (إش ٢٥ :٦).

أنظر أيضاً (إر٣١ :١٢، زك٩ :١٧ ، يوئيل ٢ :١٩)

الفصل الثاني: - كان للخبز مكانة خاصة في العبادة في العهد القديم مثل:

(١) خبز الوجوه الموضوع في الهيكل وكانت هذه الأرغفة رمز الشركة بين الله وشعبه المؤمن (لا ٢٤ :٥).

(٢) خبز البواكير (لا٢٣ :١٧) وترجع هذه الباكورة للكاهن بإعتباره ممثل لله.

(٣) قربان الفطير الذي كان يصاحب كل الذبائح (خر٢٣ :١٨).

(٤) خبز الكلمة وخبز الحكمة كما في (أم ٩ :١- ٥)) قال السيد المسيح "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤ :٤)

(٥) إن الخبز والخمر يتحولان طبيعياً في الإنسان إلى جسد ودم "لحم ودم" وهكذا بالروح القدس يتحولان في التقديس إلى جسد الرب ودمه.

(٦) إن السيد المسيح الذي هو رأس جسده "الكنيسة"يضمنا في جسده كما تضم "الخبزة" حبات كثيرة من القمح ويضم الخمر الكثير من حبات العنب.

وفي هذا يقول القديس كبريانوس "عندما دعي الرب الخبز – الذي هو حصيلة إتحاد كثير من حبات الحنطة - جسده أشار إلى شعبنا الذي حمله. إذ صاروا في وحدة.

وعندما دعي الخمر- الذي هو حصيلة عصير كثير من الحبات والعناقيد – دمه عني بهذا قطيعه الذي يرتبط معاً بامتزاج الجموع في وحدة معاً"

(٧) الخبز والخمر يمثلاننا كتقدمة للرب فكما أن الخبز تقديمه يمر بمراحل كثيرة والخمر لا يقدم إلا بعد عصر العنب .هكذا نحن لكي نقدم للرب تقدمة يليق بنا أن ندخل مع الرب نيران آلامه كالخبز ونجتاز معه معصرة صليبه كالعنب. كما قيل بروح النبوة "قد دست المعصرة وحدي".

(٨) عندما تحدث الرب عن موته شبه جسده بحبة القمح قائلاً "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقي وحدها...".كما شبه الرب ملكوته بالحنطة "القمح".

(٩) عصير العنب النقي الذي يستخدم كخمر أحمر اللون مثل الدم.

(١٠) يوجد نبوة في سفر التكوين تربط بين عصير العنب ودم المسيح تقول " رابطاً بالكرمة جحشه و بالجفنة ابن أتانه غسل بالخمر لباسه و بدم العنب ثوبه" (تك ٤٩ : ١١). ومن المعروف أن العنب ليس له دم سوى عندما يتحول إلى دم المسيح.

(١١) توجد نبوة أخرى في سفر إشعياء تقول "ما بال لباسك محمر و ثيابك كدائس المعصرة، قد دست المعصرة وحدي و من الشعوب لم يكن معي أحد فدستهم بغضبي و وطئتهم بغيظي فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسي (إش٦٣: ٢-٣). ومن المعروف أن المعصرة هي التي يعصر فيها العنب ليصير عصير العنب الذي نستخدمه في سر الإفخارستيا المقدس.

(١٢) السيد المسيح شبه نفسه بالكرمة كثيراً في العهد الجديد وقال عن الدم المقدس أنه نتاج الكرمة. ويتضح ذلك من الآيات الآتية : -

" أقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي" (مت ٢٦ : ٢٩)

" الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله" (مر ١٤ : ٢٥)

" لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله" (لو ٢٢ : ١٨)

" أنا الكرمة الحقيقية و أبي الكرام" (يو ١٥ : ١)

" إثبتوا فيَّ و أنا فيكم كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ" (يو ١٥ : ٤)

"أنا الكرمة و أنتم الأغصان الذي يثبت فيَّ و أنا فيه هذا يأتي بثمر كثير" (يو ١٥ : ٥)

الفصل الثالث:- وجوب إستعمال الخبز والخمير، وادحاض بدعة الفطير

إن الكنيسة الأرثوزكسية قد تسلمت من السيد المسيح والسادة الرسل الأطهار أن تتمم سر الشكر بخبز خمير، ولكن كنيسة رومية إبتدعت منذ الجيل الحادي عشر بدعة جديدة وهي تقديس هذا السر بالفطير. ولما رأت أن كثيرين من أتباعها الشرقيين لم يقبلوا هذا التعليم، فلئلا ينشقوا عن كنيستهم، سمحت لهم بإتمام السر

بالخبز الخمير، مدعية أنه لا يجوز تقديس هذا السر بالنوعين سواء من الخمير أو الفطير، ولكنها لا تتممه إلا بالفطير.

وأول من إبتدع هذه البدعة هو أبوليناريوس الملحد الذي جدف قائلاً عن المسيح له المجد أنه لما تجسد أخذ من البتول القديسة مريم والدته جسداً بلا نفس ولا عقل، زاعماً زعماً فاسداً أن لاهوت المسيح أغنى عن هذين الإثنين (النفس والعقل) وبناءً على بدعته هذه بدأ يقدس سر الشكر بالفطير خالياً من الملح والخمير. مشيراً بذلك إلى أن المسيح عادم النفس والعقل البشريين، وقد قطع أبوليناريوس هذا من الكنيسة واعتبر هرطوقيا، وأنكرت الكنيسة إستعمال الفطير في هذا السر المقدس.

ولدحض هذا التعليم نذكر بالإختصار سنة الفطير عند اليهود وزمن تعييدهم الفصح وسبب ذلك.. فنقول أنه لما أراد الله أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر وشرع يضرب المصريين الضربة الأخيرة، التي هي إماتة الأبكار من الناس والبهائم. أمر بني إسرائيل أن تأخذ كل عائلة منهم حملاً وذلك في اليوم العاشر من شهر نيسان، الذي جعل رأساً لسنتهم. وأن يذبحوا في اليوم الرابع عشر ويأخذوا من دمه ويجعلوه على قائمتي الباب وعتبته العليا. ويأكلوا لحمه في تلك الليلة التي هي الخامس عشر من الشهر مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة. ويأكلونه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم ويأكلونه بعجلة. هو فصح الرب، فإن الرب يجتاز في تلك الليلة ويضرب كل بكر في أرض مصر، ويرى الرب الدم علامة على بيوت الإسرائليين فلا يكون عليهم ضربة للهلاك. ويكون ذلك فريضة دهرية لهم يخلون منازلهم سبعة أيام من الخمير ويأكلون عوضه فطيراً (راجع خر ١٢، ١٣، لا٢٣،عدد ٩، ٢٨، تث ١٦) .

وبناءً على ذلك تعلم كنيستنا أن المسيح له المجد صنع العشاء الرباني قبل أن يأتي عيد الفصح بيوم كامل. أي مساء الخميس ١٣ نيسان الذي هو بدء الجمعة ١٤منه.

لأن اليوم يبتدىء من مساء اليوم الأول الذي قبله. فبدء الجمعة هو مساء الخميس وبدء السبت الذي كان واقعاً وقتئذٍ ١٥ نيسان أي اليوم الأول من عيد الفطير هو مساء الجمعة، وعليه يكون السيد له المجد تمم هذا السر بخبز خمير قبل أن يبدأ إستعمال الفطير. وأما الكنيسة الباباوية فتزعم أن الخميس الذي صنع المسيح في مسائه العشاء السري كان واقعاً وقتئذٍ ١٤ نيسان لا ١٣ منه كما تعلم كنيستنا، فيكون اليوم الأول من عيد الفطير وقتئذٍ الجمعة وبدؤه مساء الخميس. وسنورد فيما يأتي البينات الكتابية القاطعة لإثبات صحة تعليم الكنيسة الارثوذكسية:

أولاً: قال القديس يوحنا الإنجيلي " أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى. فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه...

قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وإتزر بها. ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها ... **وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني ... أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي فبعد اللقمة دخله الشيطان" (يو١٢: ١-٢٧)**

فهنا يصرح يوحنا الإنجيلي أن العشاء الرباني الذي عقبه غسل أرجل التلاميذ وتسليم يهوذا، قد صنعه الرب يسوع قبل عيد الفصح لا فيه أو بعده.

ثانياً: قال القديس يوحنا الإنجيلي "ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامة من الأموات. فصنعوا له هناك عشاء... وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع أت إلى أورشليم فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه" (يو١٢: ١-١٣) فهذا العشاء الذي صنعه يسوع كان قبل الفصح بستة أيام.

ثالثاً: جاء أيضاً في (١٨: ٢٨) (ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيأكلون الفصح) والظاهر من هذه العبارة أن اليهود لم يدخلوا دار الولاية صباح الجمعة لئلا يتنجسوا لأن الذي يأكل الفصح يجب أن يكون طاهراً. وإذا تنجس إمتنع عن أكل الفصح كما جاء في سفر العدد (٩: ٦- ١١) وهذا يدل على أن فصح اليهود لم يكن بدأ في يوم الجمعة صباحاً ولم يكونوا أكلوه بل كانوا مستعدين لأكله يوم الجمعة مساءً. وهذا أمر لا يحتمل تأويلاً.

رابعاً: مت (٢٧: ٦٢-٦٤) "وفي الغد الذي بعد الإستعداد إجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس. قائلين .. مر بضبط القبر إلى اليوم الثالث.. الخ "، مر (١٥: ٤٢- ٤٣)

" ولما كان المساء إذ كان الإستعداد. أي ما قبل السبت جاء يوسف وطلب جسد يسوع"، لو (٢٣: ٥٤) "وكان يوم الإستعداد والسبت يلوح"، يو (١٩: ٤٢) " فهناك (أى فى القبر) وضعَ يسوع لسبب إستعداد اليهود لأن القبر كان قريباً " يتضح من أقوال الإنجيليين الأربعة أن يوم الجمعة الذي صُلب فيه المسيح كان يوم إستعداد للفصح لا يوم الفصح. وعليه تسقط دعوى الكنيسة الباباوية بأن ذلك الجمعة كان ١٥ نيسان أي بدء عيد الفطير - وإذا إعترض الباباويون بأن ذلك الإستعداد كان للسبت لا للفصح فندفع إعتراضهم بقول يوحنا الإنجيلي " فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية.. وكان إستعداد الفصح ونحو الساعة السادسة" (يو ١٩: ١٣، ١٤) فيوحنا الإنجيلى يصرح بأن ذلك الإستعداد كان للفصح لا للسبت. وأما قول مرقس " ما قبل السبت "ولوقا" وأخذ السبت يلوح" فلا يفهم منه أن الإستعداد كان للسبت بل أن ذلك كان واقعاً فيه الفصح، ولو كان الفصح واقعاً يوم الخميس مثلاً لقالا "ما قبل الخميس" وأخذ الخميس يلوح" ولا يكون المعنى حينئذٍ أن الإستعداد للخميس بل أن الفصح متفق وقوعه يوم الخميس.

خامساً : جاء في (مت ٢٧:٢-٧) " حينئذٍ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى روساء الكهنة والشيوخ.. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء"

وورد في مر (١٥:٤٦) ولو (٢٣:٥٣) "فاشترى يوسف كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر " وورد أيضاً في (مر١٥:٢١ ، لو٢٣:٢٦) "فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو ألكسندرس وروفس ليحمل صليبه" فمن قول متى أن رؤساء الكهنة اشتروا يوم الجمعة حقل الفخاري نتأكد أن يوم الجمعة لم يكن قد دخل الفصح لأنه لو كان دخل فكيف جاز لهم أن يشتروا فيه، والناموس ينهي عن ذلك في اليوم الأول من العيد.

سادساً: قال يوحنا الإنجيلي "ثم إذ كان إستعداد فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا" (يو ١٩:٣١) ففي هذه الآيه نرى:

١- أن يوم ذلك السبت كان عظيماً بسبب وقوع الفصح فيه.

٢- أن عصر الجمعة حين مات المسيح على الصليب كان إستعداد الفصح لا يوم الفصح.

٣- أن اليهود في عصر ذلك اليوم سألوا بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين لموتهم ودفنهم قبل السبت لئلا تبقى الأجساد على الصليب في ذلك السبت الواقع فيه الفصح، لأن دفنها فيه محرم وبقاؤها يذهب ببهاء العيد فلو كان الفصح وقتئذٍ الجمعة لما كانوا يلحون على بيلاطس في طلبهم.

سابعاً: قال الإنجليون متى ومرقس ولوقا بأن الوالي كان يطلق لليهود في العيد أسيراً من أرادوه وأنه أطلق لهم باراباس وأسلم إليهم يسوع بعد ما جلده (مت٢٧:١٥-٢٦ ، مر١٥:٦-١٥،لو٢٣:١٧) فمن إطلاق بيلاطس الوالي باراباس اللص يوم الجمعة حينما حوكم المسيح وأسلم للصليب، يتبين أن الفصح لم يكن قد حل، لأن العادة كانت أن يطلق الأسير قبل دخول الفصح ليعيد مع أهله لابعد مضيه.

ثامناً: قال يوحنا الإنجيلي عن يهوذا الإسخريوطي "فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة. وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به لأن قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له أشترِ ما نحتاج إليه للعيد"(يو ١٣:٢٧-٢٩) فالخميس مساءً بدء الجمعة حينما صنع الرب يسوع العشاء السري متكئاً مع تلاميذه، غمس لقمة وناولها ليهوذا وجرى ما جرى، ومن هنا يتبين أن العيد لم يكن قد دخل لأن الإستعداد والشراء يكونان قبل حلوله لا بعده.

تاسعاً: جاء في إنجيل متى ومرقس"حينئذٍ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذي يدعى قيافا. وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب"(مت٢٦ :٣ -٥ ، مر١٤ :١ و٢). فمن قول البشيرين يتبين أن المسيح حوكم وصلب فى غير يوم العيد. لأن رؤساء الكهنة صمموا على ذلك لئلا يقع شغب في الشعب الذي كان يجتمع من كل ناحية.

عاشراً: إن يوم الخميس المدعو عند اليهود عيد الأسابيع وقع في تلك السنة التي صلب فيها المخلص يوم الأحد وفيه حل الروح القدس على الرسل وهذا اليوم هو أحد الخمسين من قيامته كما جاء في سفر الأعمال (٢:١-١٣) ومن المعلوم عند دارسي الكتاب أن عيد الخمسين يقع بعد الفصح بسبعة أسابيع، ولهذا يسمى عيد الأسابيع "ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم إتيناكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة. إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً. ثم تقربون تقدمة جديدة للرب" (لا٢٣ :١٥ ،١٦) ومتى تقرر أن عيد الخمسين وقع في تلك السنة في يوم الأحد كما جاء في سفر الأعمال وأن هذا العيد يقع بعد الفصح بسبعة أسابيع. فهل يكون الفصح يوم الجمعة كما يقول البابويون أم السبت كما تقول الكنيسة الأرثوذكسية؟

حادي عشر: جاء في (مت ٢٦:٢٦ ، مر١٤ :٢٢ ،لو ١٩:٢٢) أن الرب يسوع أخذ خبزاً وبارك وكسر وقال الرسول بولس "إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي" (١كو ١١ :٢٣) وكلمة خبز في اليونانية "آرطوس" أي مرتفع تطلق على الخمير لا الفطير. ولسائل يسأل أين وجد الخبز المختمر وقتئذٍ؟ فنجيب أنه وجد في البيت الذي صنع فيه الرب العشاء لأن اليهود إلى ذلك الحين كانوا يأكلون الخبز المختمر.

ثاني عشر: إن سر الإفخارستيا لم يتمم منذ الأزمنة الرسولية إلا بخبز خمير للأسباب الآتية:

١-لأن الخبز الذي كان يستعمل في السر كان يجمع من تقدمات الشعب أي من بيوت المؤمنين وكانوا يقدمونه خبزاً إعتاديا يصلح لموائد المحبة التي كانوا يعملونها ولإعانة الفقراء.

٢- لم يُسمه أحد من الآباء الأقدمين فطيراً بل يسمونه خبزاً إعتياديا وأحياناً خبزاً مختمراً.

٣-إن القديس أبيفانيوس رئيس أساقفة قبرص عند تكلمه عن الهراطقة قال عن هراطقة الأبيونين "أنهم كانوا يتمسكون بالشريعة الموسوية وأنهم كانوا يتممون سر الإفخارستيا بفطير وماء فقط" (هرطقة٣٠ :١٦)، موضحا أن ذلك مخالف لعادة الكنيسة.

٤- إن كثيرين من المؤلفين الغربيين من الكاثوليك والبروتستانت يعترفون في مؤلفاتهم ويبرهنون على أن الفطير لم يكن مستعملاً في الكنيسة الغربية إلى القرن الحادي عشر: منهم (سيرموند في تأليفه في الفطير سنة ١٦٥١ وكوتيلاريوس في مؤلفة في الكنيسة اليونانية (صفحة ١٠٨) وباكيوس في حواشية على تاريخ بارون (١٥:٣١٣) وبيكنام في الكنيسة القديمة (٢:١٥) وتاريخ الكنيسة لكلاين (جزء ٤ صفحة ٤٣٠). قال البابا اينوشنسيوس "أن القسوس يأخذون خبزاً مختمراً لكي يشهروا ذواتهم منفصلين عن ذلك الإله العلي" (رسالة ٨:٤:٢٥) وقال ملتيادس في ترجمته "هكذا قد صنع أن تقدم قرابين للكنيسة.. القرابين التي نسميها "مختمراً" وقال بيرون في كتابه مقدمة اللاهوت في شرح سر الإفخارستيا (قسم ٢ فصل ٣ قضيه ١" الخمير والفطير يصلحان على السواء لإتمام سر الشكر الإلهي" ولكنهم في التقديس لا يستعملون غير الفطير وحده.

ادحاض الإعتراضات في هذا الشأن

أما دعاوي الكنيسة الباباوية التي تقدمها وتزعم بناءً عليها أن يوم ذلك الجمعة الذي صلب فيه المسيح كان ١٥ نيسان أول العيد. وأن المسيح له المجد قدس سر جسده ودمه الأقدسين على الفطير، فنوردها هنا مع الرد عليها:

أولاً: جاء في إنجيل متى"وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له: أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح. فقال إذهبوا إلى المدينه إلى فلان. وقولوا له المعلم يقول أن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح" (مت٢٦:١٧-١٩) وفي إنجيل مرقس"وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه. أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح الخ"(مر١٤:١٢)وفي إنجيل لوقا "وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح. فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً إذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل"(لو٢٢:٧، ٨) ويستندون على قول متى ومرقس"وفي أول أيام الفطير"وقول لوقا"جاءيوم الفطير".

فنرد على ذلك بأنه لا توجد مناقضة بين إنجيل وآخر.....إن الإنجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا يصرحون أن يوم الجمعة كان إستعداد الفصح لا يوم الفصح. وأن اليهود في ذلك اليوم كانوا يشترون ويعملون فيه أعمالاً لا تجوز مطلقاً في اليوم الأول من العيد، مثل شراء حقل الفخاري، وشراء يوسف كتانا، وذهاب سمعان القيرواني إلى الحقل، وتسخيره حمل الصليب. وأن ظهر الجمعه أطلق باراباس اللص قبل أن يدخل العيد وغير ذلك.

ومن المستحيل أيضاً أن يناقضوا أخاهم يوحنا الإنجيلي الذي يصرح أن قبل الفصح صنع يسوع العشاء السري. وأن اليهود صباح الجمعه لم يكونوا أكلوا الفصح، بل كانوا مستعدين لأكله، وأن يوم ذلك السبت كان عظيما لوقوع اليوم الأول من الفطير فيه..

الخ. فاذاً لابد أن نبسط الغرض والمعنى في قول الإنجيليين ونوضحه بأجلى بيان. أما قول لوقا "وجاء يوم الفطير فهو بمعنى "قرب" لأن الأمور المقرر وقوعها في وقت معين يقال عنها جاءت أو بلغت إذ كان هذا الوقت قريباً جداً. ففي يوم الجمعة العظيمة أو يوم السبت عندنا نحن المسيحيين يصح أن يقال "جاء عيد الفصح" أي صار قريباً جداً لا أنه جاء حقيقة، وهكذا قصد لوقا كما يتضح من نفس قوله "وأعدا لنا الفصح لنأكله" لأن الإستعداد يكون قبل دخول العيد لا بعده، وهذا ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه كلام لوقا "وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح يعني أنه كان قريباً على الأبواب لا أنه أتى" (تفسير متى٢٦: ١٧).

أما كلام الإنجيلي متى في اليوناني فهو (تي بروتي تون أزيمون) وتعريبه "وفي أول الفطير" وقول مرقس (كي تي أيميراتون أزيمون) وتعريبه "وفي أول يوم الفطير" فلفظة "بروتي" التي تعريبها "أول" تأتي أحياناً في اللغة اليونانية بمعنى "قبل"، وقد وردت مراراً، وفي لغتنا العربية تأتي "أول" أحياناً بمعنى قبل نحو "أول من أمس"

أي قبل أمس. فقول متى ومرقس "وفي أول أيام الفطير" يقصد به "قبل الفطير" كما يتبين من قولهما أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح.

وقد شرح كثيرون من اللاهوتيين بأن الفصح الذي صنعه مخلصنا ليس هو الفصح اليهودي القديم، بل هو الفصح الجديد الذي أشار إليه المخلص بقوله "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد" (مت٢٦: ٢٨).

ثانياً: يزعم الباباويون أن حمل الفصح الإسرائيلي الذي خلص الإسرائيليين قديماً كان رمزاً إلى المسيح حمل اللّه الرافع خطايا العالم. فمن الضروري أن يذبح المسيح يوم ذبح الحمل الفصحي الإسرائيلي، وبما أن المسيح صلب يوم الجمعة فيكون عيد الفطير يوم الجمعة لا يوم السبت.

ونرد على ذلك بأن هذه الدعوى عليهم لا لهم، لأن حمل الفصح يجب أن يذبح مساء اليوم الرابع عشر بدء اليوم الخامس عشر، ويؤكل تلك الليلة ولا يبقى منه شيء إلى الصباح. فلو كان عيد الفطير يوم الجمعه حين صلب المسيح لكان ذبح الحمل الفصحي مساء الخميس. والمسيح ذبح الساعة التاسعة من يوم الجمعة، وبين مساء الخميس وعصر يوم الجمعة إحدى وعشرون ساعة، وعلى ذلك يكون العيد يوم السبت ليذبح الحمل الفصحي الإسرائيلي مساء الجمعة، أي وقت ذبح المسيح أو بعده بساعتين، وحينئذٍ يقال أن المسيح والحمل تقدما في وقت واحد، فاذاً تلك الدعوى ساقطة.

ثالثاً: يزعمون أن المسيح له المجد لما رافق التلميذين في طريقهما إلى عمواس يوم قيامته في عيد الفطير واتكأ معهما "أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما" (لو٢٤:١٣-٤٥) وعلى ذلك يكون الرب يسوع صنع سر الشكر بفطير. فندحض هذا الزعم بأن ما عمله مخلصنا في عمواس لم يكن سر الإفخارستيا لأن الرب عمل هذا السر مرة واحدة وسلمه لتلاميذه قائلاً "اصنعوا هذا لذكري" وهو غير محتاج أن يذكر نفسه للتلميذين في طريق عمواس. وجميع الآباء القديسين متفقون على أن المسيح له المجد صنع عشاءه السري مرة واحدة يوم الخميس مساءً

إن المسيح أعطى هذين التلميذين خبزاً فقط ولم يعطهما خمراً، ومن المعلوم أن هذا السر لا يتم إلا تحت الشكلين الخبز والخمر.

إن المسيح لما ناولهما الخبز لم يقل لهما هذا هو جسدي كما سماه يوم الخميس، ليعلم التلاميذ أن القصد من تلك البركة تقديسه وصيرورته جسداً. أما هنا فاكتفى بأن بارك وكسر وناولهما، وقصد بهذه البركه أعجوبة تفتيح أعين التلميذين ليعرفاه. أما كونه كسر وبارك فهكذا اعتاد المخلص، لأنه أيضاً بارك وكسر وأعطى الخمسة أرغفة والسمكتين (مت ١٤، مر٦، لو٩).

رابعاً: يدعون أن بولس الرسول أشار إلى تقديس هذا السر بالفطير بقوله "إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا" (١كو٥:٧).

فندحض هذه الدعوى بأن الرسول بولس لم يتكلم هنا عن الخميرة الحسية، أي أن الخبز المختمر، بل عن الخميرة المعنوية، أي الخبث والشر، وفي الآية التي بعدها يقول "إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخمير الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق".

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم في عظته التي قصد أن يوضح بها شرف العهد الجديد على العهدالقديم ما نصه "إن في العهد القديم كان الكتاب، ولكن هنا الروح. هناك التابوت، وهنا البتول. هناك عصا هرون، وهنا الصليب. هناك الحمل، وهنا المسيح. هناك الفطير، وهنا الخمير".

الباب الخامس :الشهادات المختلفة لسر الإفخارستيا

أولاً : شهادة الكتاب المقدس .

+ السيد المسيح مؤسس سر الإفخارستيا

إن كان الرب يسوع لم يضع تفاصيل الليتورجية التي تصلي الكنيسة بها في إتمام سر الإفخارستيا كما في باقي الأسرار إلا أن الكنيسة قد وضعت نظامها بالروح القدس الذي حل عليها يوم الخمسين وامتلأت الكنيسة من الروح القدس الذى قال عنه الرب يسوع "يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣) ، "ويعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو١٤: ٢٦) والروح القدس هو الرب المحيي.

فالروح القدس لا يمكن أن يوحي للكنيسة ويرشدها ويذكرها بأمور تخالف أو تتعارض مع تعاليم الرب يسوع ومشيئة الآب لأن الروح القدس واحد معه.

وإليك عزيزي القاريء طقس تأسيس سر الإفخارستيا كما سلمه السيد المسيح وكما تُصلي به الكنيسة المقدسة من عصر الرسل حتى وقتنا الحاضر:

+ إنجيل متى:

قد سجل مارمتى البشير- كشاهد عيان- وقال: "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا جسدى. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد. الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت٢٦: ٢٦-٢٨)

+ إنجيل مرقس:

"وَبَيْنَمَا كَانُوا يَأْكُلُونَ، أَخَذَ يَسُوعُ رَغِيفاً، وَبَارَكَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «خُذُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي". ثُمَّ أَخَذَ الْكَأْسَ، وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ، فَشَرِبُوا مِنْهَا كُلُّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: "هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَالَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ"(مر ١٤ :٢٢-٢٤)

+ إنجيل لوقا:

"وَإِذْ أَخَذَ رَغِيفاً، شَكَرَ، وَكَسَّرَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: "هَذَا جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ لأَجْلِكُمْ. هَذَا افْعَلُوهُ لِذِكْرِي" وَكَذلِكَ أَخَذَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ لأَجْلِكُمْ. "(لو ٢١ :١٩-٢٠)

يقول القديس الأرشيدياكون حبيب جرجس معلقاً على كلام السيد المسيح في الأناجيل الثلاثة بخصوص سر التناول " إن كلام السيد المسيح عن سر الإفخارستيا يتضمن ثلاث قضايا أساسية إيجابية هي: الشهادة – الميثاق – الأمر.

+ فالشهادة الصحيحية في سائر الإحكام لا يدخلها الجائز، ولا تقبل التأويل والمسيح شهد بأن جسده مأكل حقيقي وأن دمه حقيقي وشهادته بالطبع حقيقه.

+ والميثاق (عقد بين اثنين) ولا يجوز أن تكون من شروطه قول يقبل التأويل أو المجاز وقد أعطانا الرب في كلمات هذا (العهد الجديد) ميثاقاً أبدياً إتفق به معنا بقوله (من لم يأكل جسدي ويشرب دمي فليس له حياة أبديه) فإن كان ميثاقه عن جسده مجازاً تكون كل عهوده ووعوده مجازية (لا حقيقه) وهذا ضلال كبير.

+ أما الأمر فشرطه أن يكون صريحاً خالياً من كل غموض وغير قابل للتأويل أو المجاز وبالطبع فكل الأوامر الإلهية منزهه عن التأويلات"

+إنجيل يوحنا:

تأسيس السر

الوعد بهذا السر المقدس (يو ٦):

بعدما صنع الرب معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل، ولما تبعه الناس وأتوا إليه أراد أن ينقل أفكارهم من القوت الجسدى إلى القوت الروحي غير الفاسد فقال لهم: "أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان ،لأن هذا الله الآب قد ختمه "ولما قالوا له "آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا "قال لهم يسوع "الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" ،ولما تذمروا من كلامه قال لهم " آباوكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت .. أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم"ولما خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل عاد فأكد لهم كلامه قائلاً "الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد"

بهذا الكلام وبهذا الوعد قد هيأ الرب تلاميذه لقبول هذا السر، حتى أنه عند تأسيسه وتسليمه لهم ليلة آلامه قبلوه ولم يظهر أحد منهم أدنى شك في حقيقته ولا سألوه شيئاً بخصوصه لأنهم كانوا متأهبين لقبوله.

السيد المسيح من أجل محبته، قبل أن يعطي هذا السر مباشرة إلى تلاميذه، أراد أن يُمهد لهم حقيقة هذا السر وذلك لأجل صعوبة تصديقه وذلك في الأصحاح السادس من إنجيل القديس يوحنا، وهذا الأصحاح يُعد من أقوى الأصحاحات التي تكلمت عن سر التناول وحقيقة تناولنا من جسد الرب ودمه، وصلت صعوبة الكلام وقوة السر إلى درجة أن التلاميذ أنفسهم صعب عليهم أن يسمعوه" فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا أن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه (يو ٦ : ٦٠)

وقال اليهود معترضين على كلام السيد المسيح لدرجة المخاصمة " فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل (يو ٦ : ٥٢)

ونلاحظ أن كلام اليهود والتلاميذ لا يختلف كثيراً عن الكلام حول سر الإفخارستيا في هذه الأيام، ونفس السؤال عن صعوبة السر نسمعه حتى يومنا هذا، ليس فقط من غير المؤمنين أو حتى من الطوائف الأخرى، بل بعض المؤمنين أنفسهم.

ونلاحظ أن بعضاً من التلاميذ تركوا السيد المسيح نتيجة صعوبة كلامه وعدم إيمانهم وشكهم،إنهم لم يؤمنوا في قدرة السيد المسيح ومحبته القادرة أن تعطينا جسده ودمه .

كل هذا يُظهر لنا وضوح كلام السيد المسيح وحقيقة تناولنا من جسده ودمه الأقدسين.

لقد وصف السيد المسيح سر التناول بالطعام الباقي للحياة الأبدية "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الابدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه (يو ٦ : ٢٧)

ما أجمل عبارة " الآب قد ختمه "، وما أعظم محبة الثالوث القدوس (الإله الواحد) للإنسان، حتى إنه لا يصدق هذا الحب من عظمته وقوته.

السيد المسيح في هذا الأصحاح لم يكن يتكلم رمزياً عن تناول المؤمنين من جسده ودمه الأقدسين كما يدعي إخوتنا البروتستانت، بل نراه على العكس يوبخ تلاميذه لتشككهم. مؤكداً على حقيقة إستحاله الجسد والدم

"أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد و الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم (يو ٦ : ٥١).

"فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان و تشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم (يو ٦ : ٥٣)

من ياكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية و أنا أقيمه في اليوم الأخير (يو ٦ : ٥٤)، لأن جسدي مأكل حق و دمي مشرب حق (يو ٦ : ٥٥) من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ و أنا فيه (يو ٦ : ٥٦)

كما أرسلني الآب الحي و أنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي (يو ٦ : ٥٧)

القديس يوحنا ذهبي الفم يدافع عن سر التناول معلقاً على الأصحاح السادس من إنجيل القديس يوحنا قائلاً : (حكم اليهود بأن المسيح لم يعطهم جسده لياكلوه، وأكدوا أن هذا مستحيل ولكنه أوضح لهم أنه ممكن، وليس ممكناً فقط بل ضروري وإضطراري وشرط لازم للحياه الأبدية).

السيد المسيح في الأصحاح السادس من إنجيل القديس يوحنا كما قلنا كان يمهد فكر التلاميذ لكي يقبلوا هذا السر في ليلة خميس العهد، ونجد النتيجة واضحة، لقد تمهد قلب وفكر التلاميذ لقبول هذا السر، فنجد أن جميعهم قبلوه دون جدال أو معارضة.

والكنيسة بدورها تسلمت هذا السر من التلاميذ، وهو موجود حتى بطقسه كما سلمه السيد لمسيح لتلاميذه الآن وحتى مجيئه الثاني كما وعد السيد المسيح بنفسه. فالكنيسة تؤمن بسر التناول كما أراده السيد المسيح ورسمه، نحن نؤمن أنالذي نتناوله هو جسد المسيح ودمه الذي أعطاه لنا لكي نأكله ويكون لنا ثبات وحياة به...

لم يقصد السيد المسيح بكلامه عن جسده ودمه(يو٦) مجرد الإيمان به كما يقول البعض، فقرائن حديث المخلص تنفي هذا الزعم، لأنه كان قد وعدهم "لم يذوقوه بعد وسيعطيه لهم في المستقبل". لو كان يقصد(الإيمان) به فقط- لا إشاره إلى جسده ودمه لوجب أن نسلم بأن جميع الذين كانوا يسمعونه كانوا غير مؤمنين به، ولكنهم كانوا مؤمنين به فعلاً. وقد إكتفى القديس يوحنا الإنجيلي بما ذكره عن هذا السر- في الأصحاح السادس من بشارته الثلاثة ولم يذكر تاسيسه عندما سلمه لتلاميذه يوم خميس العهد كباقي البشيرين الثلاثه وهو دليل على أن الرسول يوحنا يقصد جسد الرب ودمه، لا الإيمان به.

الأصحاح السادس كفيل أن يرد على أي شكوك يمكن أن تحوم حول سر التناول المقدس وحقيقة الإستحالة وقدسية السر وتقديسه للإنسان.

+ سفر أعمال الرسل.

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع ٢ : ٤٢).

"وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الأُسْبُوعِ، إِذِ اجْتَمَعْنَا لِنَكْسِرَ الْخُبْزَ، أَخَذَ بُولُسُ يَعِظُ الْمُجْتَمِعِينَ. ...." (أع ٢٠: ٧)

+ الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس.

أكد القديس بولس الرسول حقائق الأناجيل الأربعة حول حقيقة سر التناول قائلاً "فَإِنِّي قَدْ تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ إِيَّاهُ. وَهُوَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزاً، وَشَكَرَ، ثُمَّ كَسَّرَ الْخُبْزَ وَقَالَ: "هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُكْسَرُ مِنْ أَجْلِكُمْ اعْمَلُوا هَذَا لِذِكْرِي". كَذَلِكَ أَخَذَ الْكَأْسَ بَعْدَ الْعَشَاءِ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي اعْمَلُوا هَذَا، كُلَّمَا شَرِبْتُمْ، لِذِكْرِي"

وحرص الرسول على تأكيد حقيقة تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم حقيقي للسيد المسيح بقوله: فإنكمْ، كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخبرون بمَوْتَ الرَّبِّ، إِلَى أَنْ يَجِئَ. إذاً أى مَنْ أَكَلَ هذا الْخُبْزَ، أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بدون اسْتِحْقَاقٍ، يَكُونُ مُجرماً فى جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِه.ولكنْ، ليَمتحن الإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وهكذا يَأْكُلْ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبْ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الذى يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بدون إستحقاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دينونة لنفسه غير مُمَيِّزٌ جَسَدَ الرَّبِّ. من أجل هذا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُّعَفَاءِ وَمَرْضَى كَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأننا لو كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أنفُسِنَا، كما حُكِمَ عَلَيْنَا. "(١كو ١١ :٢٦ -٣١)

+ الرسالة الأولي إلي أهل كورنثوس(الأصحاح العاشر).

"إِحْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ. كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟

فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ. انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟

فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ، أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ، لاَ للّه. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ. أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟ (١كو ١٠ :١٥ -٢٢)"

ونلاحظ في النص المقدس السابق وجود "كأس الرب" و"مائدة الرب" وما هذه إلا جسد الرب ودمه اللذان تقدمهما الكنيسة منذ أيام الرسل الأطهار وكما يقول النص المقدس السابق أنهما شركة في جسد الرب ودمه.

+ ويقول الرسول بولس: (أن لنا مذبحاً لا سلطان للذين يخدمون المسكن (ذبيحه العهد القديم) أن يأكلوا منه)،(عب١٣: ١٠) وبذلك أكد على وجود ذبيحة العهد الجديد ولا يحق لليهود أن يأكلوا منها قبل إيمانهم بالرب يسوع.

ثانياً :- شهادة الآباء وأقوالهم .

"هكذا تعلمنا أن الغذاء الذي يتقدس بألفاظ الصلوات التي نطق بها هو (أي يسوع المسيح مخلصنا) وبه يتغذى لحمنا ودمنا بواسطة الإستحالة هو لحم ودم يسوع ذاك المتجسد"

القديس الشهيد يوستينوس (القرن الثاني - الدفاع الأول فصل ٦٦)

"نقدم باسمه ذبيحة قد أمر الرب يسوع أن تُقدم. وذلك في شكر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين في كل مكان على الأرض. ذبيحة طاهرة ومرضية للّه"

القديس يوستينوس الشهيد (١١٠-١٦٥) (خطاب إلى تريفون فصل ١١٧)

"إننا نتغذي بجسد المسيح ودمه" (في قيامة الأجساد فصل ٨)

العلامة ترتليانوس (القرن الثاني)

"ونأكل خبز التقدمة بعد أن يصير بالدعاء جسداً مقدساً ويقدس الذين يأكلون منه بطوية صالحة"

العلامة أوريجينوس(١٨٥-٢٥٤) (الرد علي كلسس كتاب ٨)

ويقول أيضاً "إن كان أحد عوض أنه يلتزم أن ينصت للوصية: "ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز الخ." لا يطيع هذه الكلمات وإنما يشترك اعتباطًا في خبز الرب وكأسه، فإنه سيضعف ويمرض، بل وربما إن كنت أستخدم التعبير، إنه إذ يستهين بقوة الخبز يرقد"

"ما عدت أريد طعاماً أو قوتاً أرضياً فإن الخبز الذي أريده هو الخبز السماوي خبز الحياة الذي هو جسد يسوع المسيح ابن اللّه المسجود له الذي في هذه الأزمنة الأخيرة قد إتخذه لذاته الكلمة الإلهي مصوراً إياه جسماً من نسل داود وإبراهيم والمشروب الذي أبتغيه هو دم الإله المتأنس الذي هو محبة غير قابلة للتغيير هو الخمر السماوي الذي يضرم في القلوب ناراً حية خالدة لمحبته فإنني زاهد في العالم"

القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وهو تلميذ يوحنا الحبيب (الرسالة إلى أزمير)

"إنهم يبتعدون عن الإفخارستيا والصلاة لعدم إعترافهم بأن الإفخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح الذي تألم لإجلنا والذي أقامه الآب بصلاحه

القديس أغناطيوس (رساله ألى أهل أزمير ٧)

وقال القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد: "لأننا لا نتناولهما بمثابة خبز عادي، لكن كما أنه بكلمة اللّه لما تجسد يسوع المسيح مخلصنا قد إتخذ لإجل خلاصنا لحماً ودماً، هكذا تعلمنا أن الغذاء الذي شكر عليه بدعاء كلامه وبه يغتذى لحمنا ودمنا بحسب الإستحالة هو لحم ودم ذلك المتجسد

القديس أغناطيوس عن الهراطقة" . (إحتجاج١ :٦١) .

"إن للرب يسوع جسداً واحداً. وهناك كذلك كأس واحدة للإتحاد بدمه .ومذبح واحد"

القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية وهو تلميذ يوحنا الحبيب (الرسالة إلي فيلادلفيا)

كيف يستطيعون أن يدركوا أن الخبز الذي عليه تم الشكر هو جسد الرب، وأن هذه الكأس هي كأس دمه، ما لم يفهموا أنه هو ابن صانع العالم"(ضد الهراطقة٤ :١٨ :٤ و٥)

وقال أيضاً "لو كانوا يتناولون الكأس وهي ممزوجة بالماء ويتناولون الخبز وهو معد ككلمة الله ذاته، ولو كانت لهم هكذا شركة الخبز والخمر سر شكر جسد المسيح ودمه اللذين يغذيان ويثبتان وجود جسدنا، فكيف يستطيعون أن يقولوا أن هذا الجسد الذي يغتذى من جسد المسيح ودمه لا يشترك بموهبة الله الذي هو الحياة الأبدية (١)"

القديس ايريناؤس أسقف ليون (القرن الثاني -الرد علي الهراطقة ٤:١٧)

(ضد الهراطقة٥ :٢ ،٤ :١٧ :٥،٢٣ :٢)

"إن المسيح علمنا ذبيحة جديدة للعهد الجديد. فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها في كل المسكونة"

القديس ايريناؤس أسقف ليون (القرن الثاني -الرد علي الهراطقة ٤:١٧)

"إننا بعد صعود المخلص نقدم بحسب وصيته ذبيحة طاهرة وغير دموية"

القديس هيبوليتس (١٧٠ -٢٣٥) (المواهب فصل ٢٦)

"إن دم المسيح لا يُقدم ما لم يكن في الكأس خمر وتقديس ذبيحة الرب لا يتم قانونياً ما لم يكن قرباننا وذبيحتنا مطابقين لآلامه ..لأنه إذا كان إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح- وهو رئيس الكهنة العظيم لله الآب - قد قدم أولاً نفسه ذبيحة للآب أمرنا أن نصنع ذلك لذكراه، فلا يتمم الكاهن على الحقيقة عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع نفسه أعني أن يقدم في الكنيسة للإله الآب الذبيحة الحقيقية بتمامها تابعاً في ذلك مثال المخلص نفسه"

القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة المتنيح عام ٢٥٨م (رسالة ٦٢ فقرة ٢ ،١٤)

"هذه التي نسميها جسد المسيح ودمه جوهر مأخوذ من أثمار الأرض. ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس فهي تناول لنا لخلاص نفوسنا"

القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠- في الثالوث كتاب ٣ فصل ٤ فقرة ١٠)

"تحدث السيد نفسه بوضوح عن الخبز: "هذا هو جسدي" فهل يتجاسر أحد ويشك؟ إن كان هو نفسه ضماننا يقول: "هذا هو دمي" من يتذبذب ويقول أنه ليس بدمه؟... بثقة كاملة نحن نشترك في جسد المسيح ودمه"

القديس كيرلس الأورشليمي (تنيح ٣٨٦م)

"لكونه هو نفسه تكلم وقال عن الخبز هذا جسدي فمن يجسر بعد ذلك أن يرتاب، ولكونه هو نفسه ثبت وقال هذا هو دمي فمن يتوهم أو يقول أنه ليس دمه؟ لأن الذي حول وقتاً ما الماء إلى خمر في قانا الجليل بإشارته، أفليس مصدقاً إذاً قال أنه حول الخمر إلى دم؟ وقد دعيَّ إلى عرس جسدي فصنع فيه تلك العجيبة الفائقة. فكيف لا نعترف له بالأحرى بأنه منح بني العرس التمتع بجسده ودمه؟ فلنتناولهما إذاً باليقين التام أنهما جسد المسيح ودمه. لأنه برسم الخبز يعطى لك الجسد، وبرسم الخمر يعطى لك الدم، لكي بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحداً معه جسداً ودماً. لأننا بهذه الحالة نصير لابسي المسيح ـ أي بإمتزاج جسده ودمه في أعضائنا، وبهذه الواسطة نصير مشاركي الطبيعة الإلهية كما يقول بطرس المغبوط. فلا تنظر إذاً إلى الخبز والخمر كأنهما عاديان، إذ هما جسد ودم حسب القول السيدي. لأنه وإن كان الحس يظهر لك عاديين لكن الإيمان يحقق لك أنهما جسد ودم. فلا تحكم إذاً بحسب الذوق الحسي بل تحقق من الإيمان وتأكد بلا إرتياب أنك قد أهلت لجسد المسيح ودمه"(فى الأسرار٤ :١ و٢ و٣ -٦).

القديس كيرلس الأورشليمي (تنيح ٣٨٦م)

ويقول أيضاً : "ثم بعد أن تتمم الذبيحة الروحية والخدمة غير الدموية نتجه نحو الذبيحة الإستغفارية مبتهلين إلى الله من أجل سلام الكنيسة عامةً ومن أجل طمأنينة العالم ..."(في الأسرار ٥ :٨)

"إننا إذ ننادي بأن ابن الله الوحيد، أعني يسوع المسيح قد مات بالجسد ونعترف بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء نتمم في الكنائس الذبيحة غير الدموية وهكذا نقترب من الأسرار المقدسة ونتقدس إذ نتناول من الجسد المقدس والدم الكريم"

"الكاهن يشير إلي القرابين قائلاً هذا هو جسدي ...هذا هو دمي، لكي لا تظن أن ما يظهر أمامك هو مجرد رمز بل لكي تعرف جيداً أنه بفعل قدرة الله الضابط الكل الفائقة كل وصف، قد تحولت القرابين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه"

كما يقول نفس القديس "نحن نقدس خدمة الذبيحة غير الدموية في الكنائس، وبهذا ندنو من البركات السرية ونتقدس خلال إشتراكنا في الجسد المقدس والدم الكريم اللذين للمسيح مخلصنا جميعاً، فلا نتقبل جسداً مجرداً، حاشا لله، ولا جسد إنسان تبارك بالإتصال بالكلمة في نوع من إتحاد الكرامة، أو بكونه صار الله ساكناً فيه، بل بكونه واهب الحياة بحق، وذات جسد الكلمة"

البابا كيرلس السكندري (٣٦٦-٤٤٠) (مجموعة Migno الجزء ٧٧ أعمال القديس كيرلس السكندري - جزء ١٠ عمود ١٠٥)

ويقول أيضاً: "إذ نعلن الموت حسب الجسد لابن اللّه الوحيد، أي يسوع المسيح، ونعترف بقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات نحتفل بالذبيحة غير الدموية في الكنائس. هكذا نقترب من البركات الروحية ونصير قديسين، شركاء في الجسد المقدس والدم الثمين للمسيح مخلصنا جميعًا"

البابا كيرلس السكندري (٣٦٦-٤٤٠)

" كلما تناولنا القرابين المقدسة التي تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب"

ويقول أيضاً: لا تشك في أن هذا حق، إذ قال بوضوح: "هذا هو جسدي"، إنما إقبل كلمات مخلصك بإيمان، إذ هو الحق الذي لا يكذب "

القديس امبروسيوس(٣٤٠-٣٧٩) (في الإيمان ٤ :١٠ :١٢٤)

ويقول أيضاً:-

"هذا الجسد الذي نقدمه في سر الشكر قد جاء من البتول مريم. ولماذا تبحثون هنا وتطلبون العمل الطبيعي والموضوع هو جسد يسوع المسيح. ألم يولد الرب نفسه من البتول بحال تفوق الطبيعة. هذه هي بشرة يسوع. المسيحية المصلوبة. المدفونة. فهذا هو إذاً سر الجسد بعينه بكل الحقيقة"

القديس امبروسيوس(٣٤٠-٣٧٩) (في الأسرار٩ :٥٣، ٨ :٣٧، ٤٨)

"ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين ؟نعم نقدم ،ولكننا نصنع تذكار موته وهذه الذبيحة التي نقدمها كل يوم هي واحدة لا أكثر لأنه قدم مرة واحدة ...لأننا دائما نقدم حملاً واحداً بعينه ولا نقدم الآن خروف آخر. بل الحمل نفسه دائماً فالذبيحة إذاً واحدة.أو هل المسحاء كثيرون، لأن الذبيحة تقدم في محلات كثيرة ؟حاشا. لأن المسيح واحد في كل مكان وهو هنا بكليته جسد واحد. وكما أنه يقدم في أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساد كثيرة هكذا الذبيحة هي أيضاً واحدة"

القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧) (مقالة ١٦ :٣ علي العبرانيين مقال ٢٤ :٤)،على كورنثوس الأولى ١٠ :١٣)

ويقول أيضاً "إن رئيس كهنتنا العظيم قدم الذبيحة التي تطهرنا ومن ذاك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً هذه الذبيحة نفسها وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هي نفسها ستتمم إلي إنقضاء الدهر حسب وصية المخلص"

(على خيانة يهوذا مقالة ١ :٦)

"كم منكم يقول الآن ليتني كنت أرى هيئة الرب وشكله وملابسه. أنت تنظره وتلمسه وتأكله هو نفسه، وأنت تشتهي أن ترى ملابسه مع أنه هو يعطيك ذاته، لا لتراه فقط بل لتلمسه أيضاً ولتأكله ولتأخذه في داخلك، فلا يتقدم أحد غافلاً ولا متراخياً، بل فلنبادر جميعنا بحماسة وحمية ونهضة...

ويجب أن نكون من كل جهة ساهرين، لأن القصاص المعد للمشتركين على خلاف الإستحقاق ليس صغيراً. تفطن كم أنت تتمرمر من الذي خانه ومن الذين صلبوه. فاحترس إذاً من أن تصير أنت أيضاً مجرماً في جسد المسيح ودمه. فإن أولئك قد ذبحوا الجسد الكلي القداسة، وأما أنت فتتقبله حينئذٍ بنفس دنسة بعد إحسانات كثيرة جداً. لأنه لم يكتف بأن يصير إنساناً ويُضرب ويُذبح عنَّا بل أن يمزج ذاته فينا، لا بالإيمان فقط بل بالفعل أيضاً جاعلاً إيانا جسداً له أفلا ينبغي أن لا نكون أقل نقاوة من الذي يتمتع بهذه الذبيحة.

وأي شعاع شمسي يجب أن لا يكون أقل بهاء من اليد التي تقطع هذا الجسد، والفم الذي يمتليء من النار الروحانية، واللسان الذي يصطبغ بالدم المخوف؟ فتأمل الكرامة التي كرمتها والمائدة التى تتمتع بها. إن الذي تنظر إليه الملائكة وترتعد ولا تجسر أن تحدق به بلا خوف من البرق الساطع منه، هذا نفسه نحن نتغذى به، وبه ننعجن وقد صرنا جسداً واحداً للمسيح لحماً ودماً. من يتكلم بعظائم الرب ويجعل تسابيحه مسموعة؟

أي راع يغذي خرافه بأعضائه. وما لي أذكر الراعي. كثيراً ما دفعت أمهات أولادهن بعد أوجاعهن إلى مرضعات أُخر. وهو لم يطق أن يفعل ذلك، بل شاء هو نفسه أن يغذينا بدمه ويجعلنا مرتبطين ومتحدين بذاته بكل الوسائط"

القديس يوحنا ذهبى الفم: (تفسير متى مقالة٨٢ :٤ و٥).

ويقول أيضاً:"حتى الآن المسيح الملاصق لنا الذي أعد المائدة هو بنفسه يقدسها. فإنه ليس إنسان يحول القرابين إلى جسده ودمه، بل المسيح نفسه الذي صُلب عنا. ينطق الكاهن بالكلمات، لكن التقديس يتم بقوة الله ونعمته. بالكلمة التي نطق بها:"هذا هو جسدي" تتقدس القرابين"

القديس يوحنا ذهبى الفم

ثالثاً: المجامع المقدسة وإيمانهم بهذا السر

جاء في قرارات مجمع نيقيه(٣٢٥)"لا ينبغي أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس. ونتفهم بالإيمان أن حمل الله الرافع خطية العالم يستريح ههنا مذبوحاً من الكهنة،

وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بأنهم رسوم لقيامتنا".

كما يقرر نفس المجمع المسكوني الأول أنه (على المائده المقدسة يوضع حمل الله الرافع خطية العالم، ويذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية)

وقد ثبت المجمع الثالث المسكوني رسالة القديس كيرلس بطريرك الأسكندرية إلى نسطور، وهذه الرسالة كتبت من قبل مجمع اسكندرية المكاني وجاء في نصها هذه العبارة وهي"أننا ننادي بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالجسد، ونقر بقيامته وبصعوده إلى السموات فنتمم في الكنائس الذبيحة الغير دموية، وهكذا نقترب من الأسرار المباركة ونتقدس إذ نشارك جسد يسوع المسيح مخلصنا المقدس ودمه الكريم...

لكن لا ينبغي أن ننظر إلى جسده كما إلى جسد إنسان يماثلنا من كل الوجوه في أهوائنا، بل يجب أن نوقن أنه بالحقيقة جسد الذي قد صار وسمي لإجلنا ابن الإنسان نفسه"(مجمع أفسس جلسة١ وكيرلس الأسكندري جزء٥ قسم٢).

رابعاً: شهادة التاريخ لسر الإفخارستيا

هناك أحداث كثيرة في تاريخ الكنيسة وكُتبِهَا تشهد شهادة واضحة لسر التناول المقدس وعقيدة الإستحالة وحقيقة جسد الرب ودمه وهذه الأحداث إلى جانب إنها تشهد لوجود هذا السر منذ تأسيس الكنيسة توضح لنا أيضاً ضرورة التناول باستحقاق وعقوبة من يتناول بدون إستحقاق وسوف نسرد بعض هذه الأحداث على سبيل المثال لا الحصر:-

أولاً : من بستان الرهبان والسنكسار.(الذي كتبه وجمعه بلاديوس في القرن الرابع الميلادي)

(١) جاء في السنكسار القبطي تحت يوم ١٣ أمشير في قصة نفي القديس مكاريوس الكبير عندما شفي إبنة كاهن الأوثان فيقول السنكسار " فتقدم القديس مقاريوس الكبير وصلى عليها فشفاها الرب فآمن الكاهن وأهل الجزيرة بالسيد المسيح. فعلمهم القديس حقائق الدين المسيحي وعمداهم في ليلة الغطاس ١١ طوبة وحولوا البربة التي في الجزيرة إلى كنيسة. وقدس فيها القديس وناولهم من الأسرار الإلهية. وبإعلان من السيد المسيح رسما لهم كهنة وشمامسة".

(٢) ذكر عن الأنبا يوأنس القصير أنه " كان عندما يناول الشعب يعرف الخاطيء من غيره، ومرات كثيرة كان يعاين السيد المسيح والملائكة تحيط به على المذبح، ونظر مرة أحد القسوس. وكان سيء السمعة. أتياً إلى الكنيسة ، والأرواح الشريرة محيطة به، فلما وصل هذا القس إلى باب الكنيسة، خرج ملاك الرب من الهيكل وبيده سيف من نار،

وطرد عنه الأرواح النجسة، فدخل القس ولبس الحلة الكهنوتية، وخدم وناول الشعب الأسرار المقدسة، ولما انتهى وخلع ثياب الخدمة، وخرج من الكنيسة، عادت إليه تلك الأرواح كالأول، هذا ما قاله القديس الأنبا يوأنس للإخوة الرهبان ليعرفهم أنه لا فرق في الخدمة بين الكاهن الخاطيء وغير الخاطيء لأنه لأجل أمانة الشعب يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين.

(٣) إنه كان بالقسطنطينية قسيس خدعه الشيطان فزنى. وبعد يومين فكر في خطيئته فبكى على نفسه فمضى إلى جبل أولينس فوجد شيخاً قديساً إعترف له بجميع خطاياه وزناه. فقال له الشيخ :يا ولدي بعد أن وقعت في هذا المرض الرديء جسرت أن تكهن...؟ فقال له نعم يا أبي. فقال الشيخ :إعلم يا إبني بأن الكاهن بعد أن يقع في هذا الألم ما له دواء سوى أن يتخلى عن الكهنوت ويتوب توبة خالصة.. وأما بعد زناه، إن هو جسر وكهن فما أظن له دواء... وبعد ذلك قابله الأب بطرس الذي منحه الرجاء وظل معه مدة ثلاث سنوات حتى كشف الرب للأب بطرس قبوله توبة ذلك القسيس.

(٤) قيل عن الأنبا مرقص المصري أنه مكث في قلايته ثلاثين سنة لم يخرج من قلايته. وقد إعتاد قسيس أن يأتي إليه ويقوم بخدمة القداس فإحتال عليه الشيطان لإيقاعه في خطية الإدانة من جهة ذلك القسيس بأن له رائحة الخطية.... ولكن لما رأى الإله الرحوم أمانة الشيخ كشف له سراً وهو أن القسيس عندما إعتزم الوقوف قدام المائدة المقدسة رأى الشيخ أن ملاكاً قد إنحدر من السماء ووضع يده عليه، فصار كعمود نار. تعجب الشيخ من هذا المنظر، وإذ بصوت يأتيه قائلاً : إن كان الملك الأرضي لا يرتضي أن يقف أحد خدامه بين يديه بلباس قذر فكم بالحري ملك السموات! فإنه يجلل خدامه الواقفين بين يديه بالمجد.

(٥) حدثنا شيخ عن أحد الأساقفة، أن قوماً من العلمانيين أخبروا الأسقف عن امرأتين يتصرفان في غير سيرة العفة. فتألم الأسقف بسببهما وأدام التضرع إلى الله... وأنه بعد القداس الإلهي أبصر نفوس الذين تقدموا لينالوا من الأسرار الإلهية وتأمل كل واحد. فأبصر وجوه الخطاة سوداء، ومنهم من كان محترقاً، ومنهم من كانت عيناه مثل النار الملطخة بلون الدم. ورأى آخرين وجوههم بهية وأفواههم بيضاء، ورأى قوماً لما أخذوا جسد ربنا إلتهبوا به وأحرقهم، وقوماً آخرين مضيئين لما أخذوا جسد ربنا أضاءت أجسادهم..... ورأى أنه بعد أخذ الامرأتين الدم المقدس الذي لربنا يسوع المسيح صارتا أيضاً لامعتين لأنهما قدموا توبة صادقة....

(٦) جاء تحت يوم ٨ كيهك بالسنكسار القبطي في قصة الأنبا بيمين المعترف من آباء الجيل الرابع ما يلي "حدث أن مرضت ملكة رومية بمرض عضال إستعصى علاجه، وزارت أديرة وكنائس كثيرة ولم تحصل على الشفاء ، وأخيراً أتت إلى أنصنا وصحبها الوالي ورجاله إلى حيث القديس، ولما أعلموه بحضورها لم يبادر إلى لقائها بل قال

"ماذا لي أنا مع ملوك الأرض"، ولما ألح الإخوة عليه خرج إليها، فلما رأته خرت عند قدميه، فصلى القديس على زيت ودهنت به فبرئت في الحال، وقدمت له أموالاً كثيرة وهدايا عظيمة فلم يقبلها، ما عدا آنية برسم الهيكل ، وهي صينية وكأس وصليب من ذهب" ومن هنا يتضح لنا إستخدام أدوات المذبح في التناول وهي الصينية والكأس والصليب.

ثانياً: تاريخ البطاركة والأساقفة الأوائل في القرن الثاني والثالث الميلادي.

(١) قصة شهداء قرطاجنة بشمال أفريقيا تعطينا صورة مبدعة لمعنى الإفخارستيا وقيمتها لدى جماعة المسيحيين الأوائل وتقول القصة:

إن السلطات الوثنية قامت بالقبض على خمسين من المسيحيين وهم على وشك الإنتهاء من صلوات الإفخارستيا، فكان السؤال الخطير المعتاد: هل إشتركتم في العبادة؟ وكان الرد بالإيجاب كفيلاً بأن يؤدي إلي الإعدام، وكان الرد بالنفي سهلاً وممكناً جداً، ولكن كان في عُرف المسيحيين أن إنكار الإفخارستيا معناه إنكار الإيمان بالمسيح جملةً. فلما ضُيق الخناق على أحد الشمامسة واسمه "أمريتوس" ليشرح ما هو السر، فقال"بدون إجتماعنا وتناولنا من هذا السر لا نستطيع أن نعيش". أما المؤمن"فيلكس" فأجاب القاضي على نفس السؤال بقوله "المسيحيون يقيمون سر الإفخارستيا وسر الإفخارستيا يقيم المسيحيين، ولا أحد يستطيع أن يعيش بدون الإفخارستيا".

(٢) ذُكر عن القديس الأنبا ديمتريوس الكرام أنه لطهارته كانت لديه موهبة من الله بها كان إذ أكمل القداس وتقدم الشعب للتناول ينظر السيد المسيح يدفع بيده إلى كل من يستحق. فإذ تقدم من لا يستحق يظهر له ذنبه فلا يناوله حتى يعترف بخطيئته.

(٣) ذُكر عن القديس بطرس خاتم الشهداء قبل أن يصير بطريركاً أنه إستحق أن يري ابن الله الحي عدة مرات على المذبح يناول بيد رئيس الأساقفة.

(٤) جاء عن القديس غلليئيكوس أسقف أوسيم وهو من شهداء القرن الرابع أنه "لما سمع القديس بقدوم رسل الملك، جمع شعب إبروشيته إلى مدينة أوسيم مقر كرسيه وأقام قداساً وناولهم من جسد الرب ودمه الأقدسين" وذلك في السنكسار القبطي تحت يوم "٢ طوبة".

(٥) جاء عن القديس الأنبا يوحنا أسقف البرلس من رجال الجيل السادس أنه كان في أيامه قوم مبتدعون يتناولون الأسرار المقدسة وهم مفطرون فحرمهم ومنعهم من شركة الكنيسة ولكنهم إستمروا في طغيانهم فسأل الرب تأديبهم. فأنزل ناراً من السماء أحرقت كبيرهم، فخاف الباقون من ذلك ورجعوا عن بدعتهم.

(٦) القديسان كبريانوس ويوحنا ذهبي الفم أخبرا عن قوم أكلوا ما ذُبح للأوثان، ثم بعد ذلك تقدما للإفخارستيا، فحلت عليهم الويلات والمصائب حتى أن بعضهم أصيبوا بالخرس، وبعضهم أكلوا ألسنتهم.

(٧) قيل عن القديس أبيفانيوس أسقف قبرص أنه كان يدعو الروح القدس أثناء القداس فيحل عياناً. ويوم استدعاه فلم يحل كالعادة، فحزن حزناً شديداً وخاف أن يكون الله قد منع روحه عنه. ثم نظر إلى الشماس فوجده قد أصيب بالبرص. فأخذ منه المروحة وسلمها لآخر وأمره أن يخرج من البيعة. وبعد الخدمة استدعاه وسأله عما أتناه من شر فأقر بإنه عرف امرأته في تلك الليلة ،فأخذه القديس وعرفه وجوب الإستعداد للتناول من الأسرار الإلهية.

(٨) ذُكر عن الأنبا ساويرس بطريرك أنطاكية أنه ذهب إلى برية شيهيت ودخل الكنيسة في زي راهب غريب متخفياً وكان ذلك أيام بدعة أريوس، فحدثت معجزة وهي أنه بعد أن وضع الكاهن القربان على المذبح ودار في الكنيسة بالبخور، وعند رفع الإبروسفارين لم يجد القربانة في الصينية ....وللوقت ظهر ملاك الرب وقال له: ليس من أجل خطيتك ولا خطية المصلين، بل لأنك رفعت القربان بحضور البطريرك ...وبعد أن أدخلوا الأنبا ساويرس بكرامة عظيمة وصعد الكاهن إلى المذبح فوجد القربانة في مكانها.

(٩) ذُكر عن القديس دوماديوس (استشهاده في ٢٥ أبيب) أنه بينما كان يخدم كشماس في هيكل كنيسة الدير رأى حمامة بيضاء حسنة المنظر قد وقفت على المذبح فحاول أن يبعدها خوفاً على ما في كأس المناولة. وبعد نهاية القداس سأله القسيس عن سبب ذلك فعرفه بما رآه: فقال له القس "إذا رآيتها ثانية قل لي" . وفي اليوم الثاني صعد إلى المذبح للخدمة كالمعتاد فظهرت الحمامة، فقال للقس "يا أبي هوذا الحمامة". فالتفت الشيخ ولكنه لم يرى شيئاً .فانطرح على وجهه قدام الرب يبكي حتى استحق أن يرى تلك الحمامة التي هي رمز الروح القدس.

(١٠) ذُكر عن القديس يوحنا ذهبي الفم أنه كان وقت القداس يرى حلول الروح القدس بشبه حمامة على الأسرار الإلهية. وذات يوم إذ كان يقدم الأسرار لم ير الروح القدس حالاً كما تعود، فبكى. وأرشده الله إلى شماس ينظر نظرة دنسة إلى امرأة في الكنيسة. فانتهره القديس. وللحال ظهر الروح القدس.

(١١) ذُكر عن القديس يوحنا أسقف البرلس جامع السنكسار أنه كلما صعد إلى الهيكل لتأدية خدمة القداس صار وجهه أحمر، وكذلك جسده كله، كأنه خرج من أتون نار. وكان إذا قدس تنحدر دموعه على خديه كالمطر لأنه كان ينظر الطغمات السمائية على المذبح.

وحدث في ثلاث مرات أنه في كل مرة يضع أصبعه في الكأس للرشم وقت تلاوة صلاة القسمة يجد الكأس ناراً متقدة.

(١٢) ذُكر عن القديس الأنبا بسادي أسقف أبصاي في بداية القرن الرابع أنه عندما طلبه جند الوالي لكي يستشهد على اسم المسيح أنه "طلب الأنبا بسادي من الرسول إمهاله ليلة واحدة، فأمهله فذهب إلى الكنيسة، ودعا الشعب، وأقام القداس الإلهي، وقربهم من الأسرار المقدسة" (سنكسار ٥ كيهك)

إلى جانب كل هذه الأدلة التي ذكرناها يوجد أيضاً الدليل الأثري فوجود الكنائس وبها المذابح الأثرية بل وأواني المذبح والملابس الكهنوتية التي ترجع إلى القرون الأولى في المسيحية في كل العالم لهو دليل قاطع على وجود سر التناول.

خامساً: شهادة صلوات القداس الإلهي

من المعروف أن واضعي القداسات الثلاثة يرجع تاريخهم إلي القرون الخمس الأولى بعد الميلاد ونجد في بعض من صلواتهم ما يأتي: -

جاء في صلاة الحجاب لقداس القديس باسيليوس: " نسألك يا سيدنا أن لا تردنا إلى الوراء، عندما نضع أيدينا على هذه الذبيحة المخوفة غير الدموية، لأننا لا نتكل على برنا بل على رحمتك" .

وفى صلاة الحجاب الثانية لقداس القديس كيرلس:" اِطلع على سؤالاتنا، واعطنا قوة لهذه الخدمة المخوفة التي للسر العظيم السمائي الذي لهذه الذبيحة غير الدموية الناطقة" .

وفي صلاة الحجاب الأولى لقداس القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس : " واجعلني مستحقاً أن أقف على مذبحك المقدس، بغير وقوع في دينونة، وأقرب لك هذه الذبيحة الناطقة غير الدموية، بسيرة نقية، صفحاً لخطاياي وسيئاتي وغفراناً لجهالات شعبك".

وفي قداس القديس يعقوب المستعمل في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية يقول الكاهن بعد التقديس: "نقدم لك يارب هذه الذبيحة الرهيبة وغير الدموية لكي لا تصنع معنا حسب خطايانا" .

وفي قداس الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية يقول الكاهن: "يا كلمة الآب الذي لا نهاية له، من قِبَل صلاحك الذي لا يُحّد صرتَ إنساناً وأظهرت ذاتك كرئيس كهنتنا، وكسيد الكل عهدت إلينا بكهنوت هذه الخدمة وهذه الذبيحة غير الدموية" .

الباب السادس: بركات السر وفاعليته

(١) سر الإفخارستيا هو سر الشركة والإتحاد في حياة السيد المسيح.

+ في سر الإفخارستيا عندما يتناول المؤمن الخبز المتحول سراً إلى جسد الرب ودمه، يجعله متفاعل روحياً وإيمانياً بشخص ربنا يسوع المسيح، فالاشتراك في سر الإفخارستيا هو الإشتراك في حياة المسيح،لأننا في الإفخارستيا نأخذ جسد المسيح ودمه الحقيقيين وليس بصورة رمزية أو روحية. إن المؤمنين يمتزجون بالمسيح على مستوى يناسب الإنسان

+ ويقول في ذلك القديس كيرلس الكبير "في سر الإفخارستيا يمتزج المؤمن ويختلط بالمسيح من خلال الإشتراك في جسده "سر الإفخارستيا ورحلة القداس الإلهي فيها علاقة بحياة المسيح في الجسد، هذه الحياة الأزلية الإلهية عاشها المسيح في الجسد في وسط الكنيسة "الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا.. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً " (١يو٤،٢،١:١).

+ والروح القدس يوصل إلينا حياة المسيح كما عاشها هنا. وعليه فإن الأسرار هي إمتداد حياة المسيح في أيام تجسده، بحيث ننال قوة الحياة نفسها التي في المسيح عن طريق تلك الأسرار بفعل الروح القدس. فالمسيح الحي هو نفسه الذي يعمل الآن في الأسرار بواسطة الروح القدس بحيث نعيش نحن في الجسد ما عاشه المسيح وهو في تجسده.

+ الكنيسة هي جماعة المؤمنين أعضاء جسد المسيح والرب يسوع هو رأس هذا الجسد. يستمر حضور المسيح في الكنيسة جماعة المؤمنين وذلك من خلال الكرازة بالإنجيل والأسرار الكنسية وخاصة سر الإفخارستيا.

+ والإفخارستيا هو ينبوع خاص ومباشر من موت المسيح وقيامته فمن يشارك في ليتورجية القداس الإفخارستي اشترك في موت يسوع وقام معه متحداً به في جسده الإلهي الحي. فالإفخارستيا تثبتني في المسيح سر حياتي وتغذيني بجسد الرب ودمه فيتحقق فينا قول القديس امبروسيوس "كيف يموت من كان طعامه الحياة".

+ السيد المسيح يلتقى بالإنسان خلال الأسرار وهو في وسط إهتمامات حياته ليفسر له أحداث حياته الخلاصية ويساعد الإنسان لكي يعيش من جديد على ضوء حياة المسيح وموته وقيامته.

ويقول القديس كيرلس الكبير في ذلك: -

+ "عندما نأكل جسد المسيح المقدّس، مخلّصنا جميعًا، ونشرب دمه الكريم ننال الحياة فينا، إذ نكون كما لو أننا واحد معه، نسكن فيه وهو يملك أيضًا فينا...

+ لا تشك فإن هذا حق مادام يقول بنفسه بوضوح: "هذا هو جسدي، هذا هو دمي" (يو ٦)، بل تقبل كلمة المخلّص بإيمان، إذ هو الحق الذي لا يقدر أن يكذب"

+ "فعل المسيح ذلك ليحضرنا إلى رباط صداقة حميمة، وليعلن حبه لنا، مقدمًا نفسه لمحبيه، لا ليروه ويمسكوه فحسب، وإنما لكي يتناولوه أيضًا، ويحتضنوه في كمال قلوبهم..... إننا نتحد بالمسيح في الإفخارستيا لا بالمحبة ورضى الإرادة فقط بل بالحقيقة والجوهر "(عظة على يوحنا)

+ " إنه لم يكتف بأن يصير إنساناً ويُضرب ويُذبح عنا بل أراد أن يمزج ذاته فينا وأن نصير معه جسداً واحداً، ليس فقط بالإيمان بل فعلياً وفي الحقيقة أيضاً، فإن الذي لا تنظر إليه الملائكة إلا بالخوف والرعدة من أجل البهاء الصادر من أقنومه يغذينا بجوهره... ونصير معه جسداً واحداً "(عظة ٨٣ :٥ على إنجيل متى)

القديس يوحنا الذهبي الفم

+ "إن إتحادنا بالمسيح بتناولنا من جسده ودمه اسمى من كل إتحاد"

القديس أثناسيوس الرسولي

+ "إننا بالتناول نصبح جسداً واحداً، ودماً واحداً مع المسيح.... فإننا بهذه الكيفية نصير حاملين للمسيح فينا. لأن جسده ودمه ينتشران في أعضائنا"

"إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب في شراييننا، وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا"

القديس افرآم السرياني (٣٦٣-٣٧٩) جز٣ :٤٢٤ .

+ "عندما نتناول جسد المسيح المقدس، مخلص جميعنا، ونشرب دمه الثمين يكون لنا الحياة فينا، إذ نصير كما لو كنا واحداً معه، نسكن فيه ونمتلكه فينا.

القديس باسيليوس الكبير

وفي صلاة الخضوع بالقداس الباسيلي يقول الكاهن "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر ....أن توحدنا معك عن طريق تناولنا من أسرارك الإلهية"

+ وفي إحدى الصلوات قبل التناول يقول الكاهن".. وليصيرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الأبد"

ولكن يوجد فرقاً بين إتحادنا نحن مع المسيح في سر الإفخارستيا وبين وحدة الكلمة مع جسده الخاص أو الوحدة بين اللاهوت والناسوت في طبيعة المسيح الواحدة، ويطلق القديس كيرلس الكبير على هذا الإتحاد بين المؤمنين وبين المسيح في سر الإفخارستيا تسمية: الإتحاد النسبي.

(٢) بسر الإفخارستيا ننال الخلاص والفداء وغفران الخطايا.

بالمعمودية ننال غفران الخطايا الجدية والفعلية التي سبقت المعمودية إن كان المعمد كبيراً وبالتوبة والتناول من سر الإفخارستيا ننال غفران الخطايا التي فعلناها بعد المعمودية لأن سر الإفخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب التي تمت بها الكفارة ولا زالت إستحقاقاتها تشملنا إلى الأبد.

وقد قال مخلصنا موضحاً قيمة الإفخارستيا من جهة غفران الخطايا:

"وأخذ خبزاً وشكر وباركه وكسر وأعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كلوا فإن هذا هو جسدي الذي يقسم عنكم ويُبذل من أجلكم لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه لذكري. وكذلك أخذ الكأس أيضاً بعد العشاء...فإن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري" (مت ٢٦ : ٢٧-٢٨) و هذا ما يقوله الكاهن وهو رافع الصينية في الإعتراف الأخير وفي مرات عديدة أثناء القداس الإلهي.

والسيد المسيح شرح هذا البعد الكنسي للفداء بالصليب وذلك كما ورد في إنجيل القديس لوقا ما يلي "كذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لو٢٢:٢٠)

وهنا يربط القديس لوقا حديث المسيح بين الدم المسفوك على الصليب للعهد الجديد وبين كأس الإفخارستيا حيث أن الدم المسفوك لأجل البشرية دم العهد الجديد هو ما يناله المؤمن خلال سر الإفخارستيا وذلك بفعل الروح القدس في السر.

وهذا ما وضحه القديس بولس الرسول أيضاً في (١كو١١:٢٣-٢٦) قائلاً:

"لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسْلِمَ فيها أخذ خبزاً وشكر وكسر قائلاً (خذوا كلوا) هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري"

وهنا يؤكد القديس بولس على التسليم الكنسي لسر الإفخارستيا حيث الفداء الذي قدمه المسيح على الصليب وكيفية نواله على المستوى الكنسي للمؤمن فالجسد المكسور هو جسد المسيح في الإفخارستيا (الخبز المحول إلى جسد) لأن جسد المسيح على الصليب "عظمه من عظامه لم تكسر".

فهذا يعني أن الحديث عن سر التناول كذلك الكلام عن دم العهد الجديد الذي يناله المؤمن خلال كأس الإفخارستيا وينال مفاعيل هذا الدم خلال الأسرار الكنسية بصفة عامة بفعل الروح القدس.

سر الإفخارستيا ينقل لنا مفاعيل الفداء بالدم الإلهي المسفوك على الصليب من أجل حياة العالم "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣) ففي سر التناول يقدم الرب يسوع نفسه لأجل أحباؤه ومن أجل حياة كل العالم "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم .. وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم" (لو٢٢: ١٩-٢٠) فمن خلال الإفخارستيا تكون التقدمة نفسها التي قدمها المسيح لأجل حياة العالم، وذلك خلال كأس البركة (الإفخارستيا) لكي يتاح لكل المسيحيين الإشتراك في التقدمة والإسهام في فداء وخلاص العالم كله.

+ ويقول في ذلك القديس أثناسيوس الرسولي "ثم أعطانا دواء آخر لمن أخطأ بعد تنقية المعمودية وتدنس بالذنوب. وهو القربان الذي يغفر الخطايا لمن تقرب إليه بإيمان إنه جسد المسيح ودمه...حقاً أعطانا إياه لمغفرة الخطايا"

+ ويقول القديس أوغسطينوس "هذه التي نسميها جسد المسيح ودمه هي جوهر مأخوذ من أثمار الأرض، ولكنها إذ تقدست بصلوات التقديس فهي تناول لنا لخلاص نفوسنا"

+ يُعلّق القديس كيرلّس الكبير على العشاء الأخير، قائلاً: ◁بأيَّة وسيلة يمكن للإنسان الذي على الأرض وقد التحف بالمائت أن يعود إلى عدم الفساد؟ أجيب أن هذا الجسد المائت يجب أن يشترك في قوّة واهب الحياة النازلة من اللّه. أمّا قوّة واهب الحياة التي للّه الآب فهي الابن الوحيد الكلمة، الذي أرسله إلينا مخلّصاً وفادياً. كيف أرسله إلينا؟ يخبرنا يوحنا الإنجيلي بكل وضوح: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا" (يو١: ١٤)...

"في كل يوم يذبح المؤمنون هذا الخروف يعتقون من الأعمال الدنيوية ومن خطاياهم الكبيرة وينالون الخلاص من عبودية إبليس"

الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين (الدر الثمين - المقالة الرابعة)

(٣) سر الإفخارستيا سر شركة آلام السيد المسيح.

كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح (١كو ١٠ : ١٦)

لأعرفه و قوة قيامته و شركة آلامه متشبهاً بموته (في ٣ : ١٠)

(٤) سر الإفخارستيا هو غذاء الروح.

كما أن الجسد في حاجة دائمة إلى طعام يغذيه ويقويه كذلك الروح أيضاً. ومن أعظم الوسائط وأثمرها فاعلية في الروح هو سر الإفخارستيا الذي فيه نتغذى على جسد الرب ودمه وبه نحيا إلى الأبد فقد قال مخلصنا:

"أنا هو خبز الحياة..... هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت كل من يأكل منه،أنا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلي الأبد...الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم ...فمن يأكلني يحيا بي.." (يو ٦ : ٤٨ - ٥٩)

"كما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد،كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة النفس"

القديس يوحنا ذهبي الفم (ميمر ٥٠ :٣ علي مت ١٤)

(٥) سر الإفخارستيا يحفظ حياتنا الروحية ويصونها.

+ مائدة الإفخارستيا مجال لإعادة الإنسان لوضعه الأول ولإحيائه وتجديده. فبهذا السر نتنقى من خطايانا وتحترق بناره الأشواك الخانقة للنفس، ونشفى من ضعف النفس ومن الفتور الذي يصيب حرارة النفس وأشواقها الإلهية ويميت فينا تدريجياً الإحساسات النجسة ويحفظ ويصون حياتنا الروحية ويطفيء جميع سهام الشرير الملتهبة. وفي ذلك يقول المرنم بروح النبوة عن هذا السر العظيم "تهييء أمامي مائدة اتجاه مضايقي.." (مز٢٣ :٥).

+ وإن كانت الأدوية تؤدي إلى شفاء الأمراض سواء النفسية أو الجسدية فكم تكون قدرة جسد الرب ودمه ذاك الذي شفى كل مرض وكل ضعف في الشعب في أيام تجسده على الأرض (لو ٦ :١٩ ، مر٥ :٣). فإن كان الذين كانوا يلمسون فقط هدب ثوبه ينالون الشفاء فكم بالحري ينال منه الذين يحصلون عليه كله ويتناولونه.

+ وفي صلاة الشكر بعد التناول يقول الكاهن في قداس القديس اغريغوريوس "فأنت أيها الصالح محب البشر.احفظ موهبة نعمتك فينا ...للتمتع بالمجد. واقتناء الحياة وقيام النفس وطهارة الجسد حتى إذ نحيا فيك. ونتغذى بك في كل حين ويتمجد اسمك القدوس فينا"

+ "اتخذ الرب يسوع ضيفاً لروحك :لأنه حيث المسيح فهناك جسده. فإذا رأى العدو هذا الضيف يغلق في وجهه أبواب تجاربه، فيفر هارباً فتقضي ليلك ناعم البال"

القديس أمبروسيوس(عظة ٨ علي مزمور ١١٨ عد ٤٨)

+ "لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه، ما لم يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه. وكما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد،كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة النفس"

القديس يوحنا ذهبي الفم (ميمر ٥٠ :٣ علي مت ١٤)

+ "فلنمسك نحن به بواسطة الإفخارستيا السرية لكي يحررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين وعنفهم"

القديس كيرلس الكبير

+ "إن المائدة السرية، جسد المسيح، تمدنا بالقوة ضد النزوات وضد الشياطين وذلك لأن الشيطان يخاف من هؤلاء الذين يشتركون في الأسرار بوقار وتقوى"

القديس كيرلس الكبير

+ "يُظهِر بولس أن عشاء الرب ليس وجبة طعام بالمعنى العام، بل هو علاج روحي يُطهر من يتناوله إن اشترك فيه بوقار. إنه ذكرى خلاصنا، فإننا إذ نذكر فادينا يلزمنا أن نتبعه ملتصقين به"

أمبروسياستر

(٦) هو سر النمو والتقدم والإتحاد مع الله.

+ يقول القديس أثناسيوس الرسولي" إن إتحادنا بالمسيح بتناولنا من جسده ودمه أسمى من كل إتحاد"

+ ويقول القديس مار افرآم السرياني "إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يلفظ به، ودمه أيضاً الطاهر يصب في شراييننا وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا"

+ ففي سر الإفخارستيا ننال شيئاً فشيئاً صحة روحية وقوة ونشاطاً للنفس الناطقة، به يستنير إستنارة روحية، وبه تتقدس النفس، ويقوى الرجاء فينا وتضطرم المحبة في قلوبنا من نحو الله والقريب، ونسلك في طريق الكمال.

وكما حدث مع تلميذي عمواس اللذين لما تناولا من يد السيد المسيح إنفتحت أعينهما وعرفاه (لو ٢٤) فلم يعد الخبز العادي بسيطاً بعد أن باركه الرب ولكنه صار ذو فعالية روحية وقدرة على الإنارة الذهنية فكم يفعل سر الإفخارستيا إنه المسيح ذاته باعث الحياة ومحيي النفس والجسد والروح فيمن يتناولون باستحقاق. يقول مخلصنا "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب الحياة للعالم"(يو ٦ : ٣٣)

(٧) به ننال إمتيازات القيامة المجيدة وهو يُعِدنا للأبدية السعيدة، والأمجاد السمائية.

+ يقول مخلصنا" إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلي الأبد.... من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير"(يو ٦ : ٥٤)

+ ويقول القديس ايريناؤس أسقف ليون (من آباء القرن الثاني والثالث الميلادي) (الرد على الهراطقة كتاب ٤ فصل ١٨ فقرة ٥)"هكذا أجسادنا التي قبلت الإفخارستيا ليست بقابله للفساد لأن فيها رجاء القيامة" ويقول أيضاً "كيف يقولون إن ذاك الجسد الذي إغتذى من الرب ودمه يصير إلى الفساد. ولا ينال الحياة ؟! إذاً فليعدلوا عن زعمهم أو يكفوا عن الذبيحة"

+ ويقول القديس اغريغوريوس النيسي في ذلك(خطابه التعليمي فصل ٣٧) :-

"بما أن هذا الجسد الذي إتخذه الله قد قبل هذه النعمة (نعمة إحياء الموتى) فليكن معلوماً أنه لا يمكن أن يشترك جسدنا بالخلود وعدم الموت، ما لم يصر مشتركاً بعدم الفساد باشتراكه بذلك الجسد غير المائت"

ويقول القديس أمبروسيوس(كتاب ١٠ :٤٩) "أن المقصد الأصلي من الإشتراك بالأسرار الطاهرة هو الإشتراك بالحياة الأبدية"

ويقول القديس كيرلس الكبير "من يأكل جسد المسيح الأقدس، تكون له الحياة الأبدية، لأن الجسد له الكلمة الذي هو بالطبيعة الحياة، وذلك كما لو أن إنساناً أخذ شرارة وأشعلها داخل التبن حتى تلتهب النار فيه، هكذا أخفى ربنا يسوع المسيح الحياة في جسده وحشر نفسه كبذرة عدم فساد مبطلاً بالتمام الفساد الذي يعمل فينا"

+ وكما هو مكتوب في صلاة السجود وحلول الروح القدس بالقداس الكيرلسي "لكي يكون لنا جميعاً نحن المتناولين منها... مشاركة لسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد....".

(٨) سر التناول يعطينا الحياة:

+ نحن نتيجة تناولنا جسد المسيح ودمه نأخذ الحياة وهي ليست الحياة العادية التي يعيشها كل إنسان لأن هذه الحياة منحة من الله لكل إنسان، ولكننا نأخذ عربون الحياة الأبدية:

+ فكلما نأكل جسد السيد المسيح ونشرب دمه، تكون لنا الحياة الأبدية ويبقى فعلاً لنا الحق أن نتمتع بالحياة الأبدية، وهذا لأننا أخذنا الحياة في داخلنا وأصبح الموت ليس له سلطان على الإنسان الملتصق بجسد المسيح ودمه الأبدي

+ وإن كان الموت الزمني سائر على كل جسد لكن الموت الأبدي لا يتملك على الإنسان الثابت في السيد المسيح لأنه ثابت في الحياة.

+ التناول هو عربون الحياة الأبدية وعربون القيامة، وسوف نشعر ونتأكد من قيمة تناولنا من جسد المسيح ودمه في القيامة، فهوالذي يعطينا هذه القيامة، وهو الذي يعطينا هذا الحق، وهو الذي سيقيمنا بأجساد ممجدة، وذلك لأن جسدنا إتحد بالسيد المسيح وإتحد بالحياة، ويكون نتيجة ذلك أن يصبح الإنسان حياً ويستطيع أن يحيا في القيامة.

(٩) الإفخارستيا سر إنتظار المجيء الثاني.

"فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز و شربتم هذه الكاس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء (١كو ١١ : ٢٦)

+ و أقول لكم أني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي (مت ٢٦ : ٢٩)

+ عندما تمارس الكنيسة سر الإفخارستيا فإنها تحتفل في آنٍ واحد بإحياء ذكرى تجسد المسيح وصلبه وبذله لجسده وسفكه لدمه حياة للعالم - ورجاء الحدث المستقبلي - المجيء الثاني والملكوت - . وهي بذلك تحقق الحدثين معاً.

+ إن السيد المسيح له المجد قد أوصى تلاميذه القديسين أن يصنعوا إحياء ذكرى العشاء السري (سر الإفخارستيا) الذي يلخص لنا تجسد المسيح ويعطينا أن نشترك في حياته وآلامه الخلاصية قائلاً لهم "اصنعوا هذا لذكري"

فكل سر من الأسرار يجعل المستقبل حاضراً والبعيد يصبح قريباً والماضي يصبح حاضر ففي الأسرار يعلن لنا الرب عن مجيئه الثاني وعن حضور ملكوته أي أن الأسرار تجعلنا نحيا أحداث الخلاص والأبدية بكل جوانبها على المستوى الكنسي.

(١٠) الإفخارستيا توحد المؤمنين معاً.

جسد المسيح جسد واحد ...يقوم في كل مكان ولكنه جسد واحد ..هكذا ندرك أن الكنيسة واحدة جامعة... فكل المذابح في العالم هي مذبح واحد ...وكل الكنائس في العالم كنيسة واحدة (من أقاصي المسكونة إلي أقاصيها)... وكل الكهنة في العالم يمثلون كاهناً واحداً هو ربنا يسوع المسيح الذي يقدم جسده بيده في كل قداس في كل مكان وفي كل زمان ومع كل الناس.

+ يقول القديس بولس الرسول "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح. والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد"(١ كو ١٠ :١٦- ١٨)

+ كما يقول القديس كيرلس الكبير "البركة من خلال سر الإفخارستيا -لهؤلاء الذين يؤمنون به أنه يجعلنا من نفس الجسد، معه ومع بعضنا البعض، بالجسد الواحد أي جسده الخاص"

+ ويقول نفس القديس "كما أن قوة الجسد تجعل هؤلاء الذين تحل فيهم، أعضاء في نفس الجسد المقدس هكذا أيضاً يفعل الروح الواحد غير المنقسم والذي يسكن فينا جميعاً، فهو يربط المؤمنين جميعاً في وحدة روحية"

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم في ذلك (مقالة ٢٤ على كورنثوس الأولى ١٠ :١٧ فقرة ٤) :-

"كما أن الخبزة تتألف متحدة من حبات كثيرة،حتى أن الحَب لا يستبان قط، إلا أنه موجود، وبالإتحاد صار فرقه غير واضح، هكذا يكون إتحادنا مع المسيح،أحدنا مع الآخر. لأنك لا تتغذى أنت من جسد وذاك من جسد آخر، بل نتغذى كلنا من الجسد الواحد نفسه"

+ ويقول القديس كيرلس عامود الدين في ذلك (كيريليانا ص ١٢٢) :-

"فإذا كنا نشترك كلنا في الخبز الواحد فنحن كلنا جسد واحد، لأن يسوع المسيح لا يمكن أن يكون مقسماً. لذلك تُسمى الكنيسة جسم المسيح. ونُدعى نحن أعضاؤه بحسب تعليم القديس بولس الرسول فإننا جميعاً متحدون بيسوع المسيح بواسطة جسده المقدس، إذ نقبل في أجسادنا الخاصة ذلك الجسد الواحد غير المنقسم"

ويقول الكاهن في هذا المعنى في القداس عقب السجود وحلول الروح القدس على الخبز والخمر لتحويلهما" إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لنصير جسداً واحداً، وروحاً واحداً..."

في كتاب تعاليم الرسل الاثنى عشر وهو من أقدم النصوص الإفخارستية نقرأ هذه الصلاة "كما أن هذا الخبز المكسور الذي كان سابقاً منتشراً على الهضاب، قد جمع ليصير خبزاً واحداً، هكذا أيضاً اجمع كنيستك من أطراف الأرض"

الباب السابع :الإستعداد للتناول باستحقاق

إن الكنيسة عاشت فاعلية الأسرار المقدسة على المستوى الإختيارى وتذوقوا النعم الإلهية في كل سر من الأسرار المقدسة وذلك لأنها ممارسة بحياة إيمانية وتسليم النفس بين يدي المسيح فالمستوى الإختياري الكنسي بفاعلية الأسرار لا يمكن أن يتذوقه إلا المؤمن المتضع فإن لم يكن للأسرار فاعلية - كما يدعي البعض في القرون الأخيرة - فبماذا تعلل ثمار الحياة المسيحية التي كانت تظهر في حياة الكنيسة على مدى القرون المختلفة إن آبائنا لم يعرفوا ينبوع لحياة القداسة المسيحية التي كانت تظهر في حياتهم إلا من خلال ممارسة الأسرار الكنسية.

إن فاعلية الأسرار المقدسة لا تكون بصورة مطلقة لكل من ينالها بل يتوقف فعلها على قبول الشخص القابل للأسرار. فالنعمة لا تعمل في كل من يقبل السر إلا إذا كان مؤمناً وعلى إستعداداً شخصياً في التفاعل مع السر

لقد رتبت الكنيسة من خلال أقوال آبائها المرشدين من الروح القدس، رتبت إستعدادات خاصة لسر التناول وذلك لقدسية السر الفائق الوصف، وكذلك لكي يستفيد الإنسان بالتناول أكبر إستفادة ممكنة ويكون مستعداً ومستحقاً لكي لا تقع عليه ويلات الكتاب المقدس والتي شرحها الآباء.

يقول القديس بولس الرسول "لأَنَّ الذى يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بدون إستحقاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دينونة لنفسه غير مُمَيِّزٌ جَسَدَ الرَّبِّ. من أجل هذا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءِ وَمَرْضَى كَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأننا لو كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، كما حُكِمَ عَلَيْنَا."(١كو ١١ : ٢٩ -٣١)

وكما هو مكتوب في سفر اللاويين " كل إنسان من جميع نسلكم إقترب إلى الأقداس التي يقدسها بنو إسرائيل للرب ونجاسته عليه تُقطع تلك النفس من أمامي" (لا ٢٢ : ٣). فإن كان الرب قد أمر بقطع الإنسان الذي يتقدم لأكل الأقداس بدون استحقاق وهي مجرد رمز وإشارة فما هو عقاب الذي يجرؤ ويتقرب إلى الحقيقة نفسها وهو جسد الرب ودمه.

كما يقول القديس باسيليوس الكبير في توضيح مدى وصية الرب بالإستعداد للأكل من خروف الفصح مقارنة بما يحدث مع خروف فصح العهد الجديد "سبعة أيام تأكلون الفطير من قبل أكل الخروف، الويل لنا فإن هذه اللفظة مملؤة عاراً علينا، وإن كان أمر بهيمة أن يؤكل خبز الحزن سبعة أيام قبل ذلك الخروف وهو بهيمة غير ناطقة ووضعت مثالاً لما يكون، فما عسى أن تكون عقوبة من جسر على الخروف التام ولم يزل

منه خمير الشر الذي هو الزنى ومحبة النصيب الأكبر والبغضة والاغتصاب والسرقة ولم يحزن على ذلك من قبل أن يسعى إلى السر وحتى لا يعطى في الكلام عن الخروف ويتوانى عن بقية الفصول التي للسرائر فلنرجع إلى الخروف الذي بلا عيب الكامل المسيح ونعطي الكلام حقه"

ولخطورة التناول بغير استحقاق سوف نورد بعض من أقوال الآباء في هذا الموضوع :-

+ "لماذا هكذا؟ إنه بسبب أن الذي يهين العشاء يشبه كاهنًا يسكب الدم، فيجعل من الموت ذبحًا لا ذبيحة. يكون مثل أولئك الذين ضربوا يسوع بالحربة على الصليب (يو ١٩: ٤٣). لا يفعلون ذلك ليشربوا دمه بل ليسفكوه.

+ الشخص الذي يتقدم للعشاء بغير استحقاق يفعل هذا الأمر عينه ولا ينتفع شيئًا منه"

+ "أريد أن أذكركم أيها الإخوة بما قلته لكم مرات عديدة: وقت تناولنا من الأسرار المقدسة التي للمسيح، إذا رأيتكم في إنحلال عظيم و عدم مخافة تستوجب النوح فأبكي على نفسي و أقول في فكري: ترى هل هؤلاء عارفون لمن هم قائمون؟ و ما هي قوة هذا السر؟ و عند ذلك أغضب بغير إرادتي، حتى لو استطعت الخروج لخرجت من بينكم من ضيقة نفسي. و إذا وبخت أحداً منكم فلا يكترث لقولي، بل يتذمر عليَّ كأني ظلمته.

يا لهذا العجب العظيم: إن الذين يظلمونكم و يسلبون أمتعتكم لم تغضبوا عليهم كغضبكم عليَّ الآن، أنا الذي أغار على خلاصكم، الخائف بوجل من أن يحل بكم عقاب الله بسبب تهاونكم بهذا السر العظيم. أترى تعلمون من هو هذا الذي تريدون أن تتناولوا منه؟ إنه الجسد المقدس الذي لله الكلمة، و دمه الذي بذله عن خلاصنا.

+ "لا يجوز لنا أن نقترب من المائدة بشهوات دنسة، فيكون الأمر أكثر ضرراً من الإصابة بالأمراض. فبالشهوات الدنسة أعني شهوات الجسد وشهوة المال والغضب والمكر وهكذا. يليق بكل من يقترب أن يفرغ نفسه من كل هذه الأشياء أولاً وعندئذٍ يلمس هذه الذبيحة الطاهرة"

القديس يوحنا الذهبي الفم

+ "يعلمنا بولس أنه يليق بالشخص أن يتقدم للتناول بذهن وقور ومخافة، حتى يدرك الذهن أن يوقّر ذاك الذي يقدم جسده مبذولاً"

أمبروسياستر

+ "كيف يمكن للمائدة التي هي علة بركات كثيرة كهذه، والتي تفيض بالحياة أن تصير علة دينونة؟ هذا ليس من طبيعتها الذاتية، وإنما يقول بولس بسبب إتجاه المتقدم إليها. فكما أن حضور المسيح حوّل هذه البركات العظيمة والتي لا يُنطق بها إلى دينونة للذين لم يقبلوه، هكذا التناول المقدس يصير عقوبة أعظم للذين يتناولونه بغير استحقاق"

القديس يوحنا الذهبي الفم

"من يتقدم إلى مائدة الرب بإستهتار ليس بأفضل من غير المؤمن"

أمبروسياستر

لذلك تصلي الكنيسة في صلواتها السرية "إجعلنا أهلاً بغير وقوع في دينونة أن نتناول من جسدك المقدس ودمك الكريم وليصر تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الإنقضاء".

+ وقوانين الكنيسة توضح لنا ذلك يقول كتاب المجموع الصفوي "ويجب علينا أن نكون متيقظين في كل حين ولا نعطي لأعيننا نوماً ولا يلحقنا نعاس إلى أن نجد موضعاً للرب لئلا يقول واحد إني تعمدت ونلت من جسد المسيح ويطمئن ... فمن يقول عن ذاته إنه نصراني وليس هو لابساً الأفعال فإنه يسمى من الله ومن الناس شيطاناً لأنه لم يبغض أعمال الشيطان بل ثبت فيها فلأجل هذا ينال اسمهم ههنا ونصيبهم في الموضع الآخر ... لأن النصراني يجب عليه أن يكون سائراً في وصايا المسيح متشبهاً به في كل شيء"

من أجل الأقوال السابقة لابد للتناول باستحقاق أن يسبقه إستعداد روحي واستعداد جسدي :-

الفصل الاول: الإستعداد الروحي.

(١) الإيمان بسر الإفخارستيا.

أي يجب أن الذي يتقدم إلي سر التناول يكون مؤمناً بأن الذي نتاوله هو جسد حقيقي وأن كل جزء يمثل جسداً كاملاً لأن جسد المسيح لا يمكن كسره.

الإيمان كأساس بإعتبار أن الأسرار مجال لعمل الروح القدس بطريقة غير معلنه. أي أن الإنسان لا يراها بالعين المجرده. كلها بتكون تحت أعراض معينه الفعل أو النتيجة ليست معلنه. الإيمان أساس عند إتمام الأسرار بحيث أن الذي ليس عنده إيمان لا يستطيع أن يستفيد من السر. وهذه فكرة الإستعداد للسر. الإستعداد للسر هو أن يكون عند الإنسان الإيمان الكافي لممارسة السر. لذلك نتلوا قانون الإيمان في سر التناول كما في بقية الأسرار.

(٢) المحبة والسلام.

يقول الكتاب المقدس "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (مت ٥ : ٢٣-٢٤) فإن كانت هذه هي الوصية المطلوب تنفيذها لتكون تقدمة القربان مقبولة لدى الله، فبالأحرى يتطلب التناول من القربان أن نكون في حالة صلح وسلام مع الله ومع أنفسنا ومع الآخرين.

لذلك يقول الكاهن في القداس الإلهي "إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة لكي نتناول بغير إنطراح في الحكم من موهبتك غير المائتة السمائية بالمسيح يسوع ربنا"

وقد جاء بكتاب الديداكية (فصل ١٤) ما يلي "وليكف عن الإجتماع معكم كل من كان في خلاف مع أخيه حتى يتصالحا معاً لكي لا تتنجس ذبيحتكم لأن هذه الذبيحة هي التي قال عنها الرب "لأن في كل مكان وكل وقت قدموا لي ذبيحة طاهرة لأني ملك كبير يقول الرب واسمي عجيب بين الأمم" (ملا ١ :١١)

(٣) التوبة والإعتراف.

يقول القديس بولس الرسول "لأَنَّ الذى يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بدون إستحقاق يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دينونة لنفسه غير مُمَيِّزٌ جَسَدَ الرَّبِّ. "(١كو ١١ : ٢٨ -٢٩)

لذلك لا يستطيع أحد الآن يتناول من جسد الرب ودمه قبل أن يفحص نفسه فحصاً جيداً ويقدم توبة حقيقة وإعترافاً صادقاً.

وقد ورد في الديداكية فصل ١٤ عن وجوب الإعتراف قبل التناول ما يلي: "أما يوم الرب فهو للرب خاصة، إجتمعوا لتكسروا الخبز وتصلوا الإفخارستيا بعدما تعترفون بخطاياكم لتكون ذبيحتكم طاهرة"

الفصل الثاني: الإستعداد الجسدي للتناول.

(١) الإحتراس في الأكل (الصوم الانقطاعي).

الصوم يعطي الإنسان الإنسحاق. فالإنسحاق يأتي من الصوم. يسمون الصوم الخروج من الكيان المادي والدخول في الكيان الروحي. والأسرار هي قمة الكيان الروحي في حياتنا هنا. لذلك الصوم يؤهلنا ككيان روحي أن نمارس الأسرار

الإحتراس في الأكل هو أحد عناصر الإستعداد الجسدي وهو الإنقطاع التام عن تناول أي نوع من الأطعمة لمدة حددتها الكنيسة بتسع ساعات على الأقل قبل التناول من القربان وقد إستندت الكنيسة في ذلك إلى ما تسلمته من الآباء الرسل وهو ما يتضح من النقاط التالية: -

جاء في مجموعة قوانين الآباء الرسل المرسلة على يد إكليمنضس الروماني ما يلي "

+ ولا يتناول أحد القربان إلا وهو صائم نقي. ومن أفطر من المؤمنين والمؤمنات ثم تقرب إن كان قد فعل هذا تهاوناً منه فلينف من كنيسة الله إلى الأبد"(فصل ٤٣)

+ معلمنا بطرس الرسول أوصي تلميذه إكليمنضس قائلاً له "لا تأخذ القدس(التناول)إلا وأنت صائم نقي"(فصل ١٩)

القديس أبوليدس أشار في قوانينه "كل مؤمن فليعلم أنه إن تناول من السرائر قبل أن يذوق شيئاً ولا سيما إن كان عنده أمانه فليتناول. فإذا دفع له أحد سم الموت فإنه لا يؤلمه"(فصل ٢٨)

جاء في قوانين مجمع قرطاجنة المكاني "إن الكاهن لا يقدس إلا وهو صائم"(قانون رقم ٢٩)

جاء في قوانين مجمع اللاذقية المكاني "لا ينبغي أن يقرب أحد من التناول من الأسرار في الصوم قبل ٩ ساعات"(قانون رقم ٧٥)

عن مجمع سرديقة المكاني "لا يجوز أن يقوم بخدمة قدسات المذبح إلا من كان صائماً "(قانون رقم ٤٠)

وللصوم الإنقطاعي قبل التناول رموزه الكثيرة منها:-

(١) رمز التجسد الإلهي من الحشاء البتولي.

مكث السيد المسيح في بطن العذراء مريم تسعة شهور قبل ولادته. ونحن عندما نتقدم للتناول يجب أن يكون داخلنا طاهراً نقياً كأحشاء العذراء مريم. فالإنقطاع عن الطعام مدة تسع ساعات قبل التناول يساعد الجسم على هضم المأكولات الأرضية والتخلص من بقاياها وتنقية الأحشاء إستعداداً لقبول الخبز السماوي.

(٢) إشارة إلى فترة الآلام وقت الصلب.

فالآلام الجسدية الناتجة عن إحساسنا بالجوع تجعلنا نشارك السيد المسيح فترة آلامه التي إمتدت إلى تسع ساعات يوم صلبه.

الآباء قالوا إن التسع ساعات هي فترة آلام السيد المسيح من بداية تعذيبهم للمسيح من الساعة الثالثة إلى ساعة الدفن الساعة الثانية عشر. لذلك فالصوم الإنقطاعي تسع ساعات هو شركة في آلام المسيح.

وقد جاء في كتاب المجموع الصفوي لابن العسال " إن من فوائد الصوم الانقطاعي إحساس الصائم بالجوع قبل تناول القربان فيتناوله وهو شديد الشهوة للغذاء مما يجعله يُقبل على التناول بشوق نفساني وجسماني"

(٣) رمز القبر الجديد.

كما دُفن المخلص في قبر لم يسبقه إليه أحد (مت ٢٧ - ٦٠) هكذا يجب ألا يسبق جسد الرب ودمه إلى داخل الجوف أي نوع من الطعام الأرضي.

كما أن فترة الإحتراس هذه فرصة لتنشيط الروح والإنسان الصائم يكون أكثر تجاوباً مع الممارسات الطقسية في القداس الإلهي.

ولكن لماذا نصوم والمسيح أكل مع تلاميذه قبل الإفخارستيا؟!

وللإجابة على هذا الإستفسار يجب أن نعرف أن السيد المسيح لم يأكل سوى خروف

الفصح وكان هذا أمراً طقسياً حسب الطقس اليهودي كان يجب أن يتممه السيد المسيح لكي يكمل كل بر ولا يكون كاسراً للناموس الذي هو واضعه. كما أن خروف الفصح هذا كان رمزاً وإشارة إلى جسد المسيح ودمه فأراد السيد المسيح أن يصنع فصح العهد الجديد بعده مباشرة ليحل الجديد محل القديم.

ويقول في ذلك القديس أوغسطينوس "إنه من الأمور الواضحة أن التلاميذ عندما تناولوا جسد الرب ودمه لأول مرة لم يكونوا صائمين فهل يجيز لنا هذا أن ننتقد الكنيسة الجامعة لأنها لا تجيز في أي مكان أن يتناول هذا السر إلا مَنْ كان صائماً ؟ لا، علي الإطلاق .لأن الروح القدس شاء من ذلك الحين أن يحدد أنه تكريماً لسر عظيم كهذا يجب أن يؤخذ جسد الرب قبل كل طعام يتناوله المسيحي بفمه، وهكذا شاعت هذه العادة التي أشرنا إليها وصارت مرعية في كل مكان. وإن كان الرب قد وضع هذا السر بعد تناول أطعمة أخرى فلا يعني ذلك أن الإخوة يجب أن يجتمعوا معاً لتناول هذا السر بعد أن يكونوا قد تغدوا أو تعشوا أو أن يتشبهوا بالذين وبخهم الرسول ونبههم إلى خطئهم لأنهم لم يميزوا بين عشاء الرب والطعام العادي.."

(٢) الإحتراس في النوم.

الإحتراس في النوم هو الإمساك عن تلبية ورغبات الجسد الجنسية للمتزوجين سواء كانوا من العلمانيين أو من رجال الإكليروس. والمعاشرات الزوجية ليست نجاسة ولا هي خطية ولكن لكي يتفرغوا للأمور الروحية في ليلة تناولهم. وعلى إعتبار أن العلاقة الجنسية تعتبرها الكنيسة فطراً فقط تمنع عن التناول ولكن لا تمنع عن الحضور للكنيسة والصلاة.

أما لغير المتزوجين فالإحتراس في النوم هو حفظ طهارة الفكر والبعد عن المعثرات التي تثير الغرائز.

وقد إهتم مجمع قرطاجنة المكاني في قوانينه بأهمية حفظ الطهارة لرجال الإكليروس سواء الكهنة أو الشمامسة في يوم نوبتهم لخدمة الأسرار.

كما أن العهد القديم مليء بالشواهد التي تحذر من التقرب إلى الأقداس دون حفظ الطهارة حتى بين المتزوجين (لا٢٢ :٧ ،تث٢٣ :١٠ ،لا١٥ : ١٦ ،خر١٩ :١٦)

أما بالنسبة للإمناء (الإحتلام)عند الرجل فلو كان بسبب الشهوة أو خيالات شريرة أو نتيجة لأفكار أو مشاهدات قبل النوم فيكون ذلك مانع للتناول وقد أجمع آباء الكنيسة على ذلك. أما إذا كان الإمناء طبيعياً نتيجة لإفرازات طبيعية فهناك ثلاثة آراء نوجزها فيما يلي: -

الرأي الأول : إن هذا الإمناء لا يعد خطية لأنها تمت بشكل طبيعي ويمكن لمن حدث له ذلك أن يغسل جسده بالماء ويبدل ثيابه ويحضر القداس ويتناول من القربان ومن المؤيدين لهذا الرأي القديس أثناسيوس الرسولي الذي قال "إذا حدث الإمناء تجربة من الشيطان ليحول دون تناول إنسان فعلى الكاهن أن يناوله لأن المجرب لا ينفك عن مهاجمته ليحول دون قبول الأسرار "(قانون ١٣) كما قال أيضاً "أما إذا حدث الإمناء نتيجة لشهوة لامرأة لا يجوز التناول".

الرأي الثاني : يرى أن هذا الإمناء الليلي يعتبر فطراً، ويفضل معه عدم الإقتراب للتناول. سواء حدث بشكل إرادي أو غير إرادي.

ومن مؤيدي هذا الرأي القديس ساويرس ابن المقفع الذي قال "إنها ليست نجاسة بل فطر والذي يفطر لا يمتنع عن الصلاة من أجل أنه فاطر ولا من دخول الكنيسة ولا عن حضور القداس بل عن تناول القربان فقط. والحكم بسبب الجنابة في النوم كالحكم في المتزوج إذا رقد مع زوجته...".

الرأي الثالث : وهذا الرأي يجعل الحكم لضمير الإنسان فقد جاء ضمن الأربعة قوانين التي كتبها القديس ديونيسيوس الكبير البطريك السكندري (٢٠٠-٢٦٠م) "الذي يحدث لهم فيض ليلي بدون إرادتهم عليهم أن يتبعوا شهادة الضمير، فالذي يتشكك في أمر أكل اللحم فإنه يُدان إذا أكل. لذلك في مثل هذه الأمور كل واحد يريد أن يقترب من الله يلزم أن يكون بضمير طاهر وثقة حسنة على قدر ما يحكم هو نفسه".

(٣) النظافة الجسدية.

ويدخل في هذا الموضوع (الحيض والنفاث)بالنسبة للمرأة.

وقد جاء في قوانين القديس أبوليدس(١٧٠—٢٣٥م)"والمرأة التي تلد فلتقم خارجاً عن الموضع المقدس، إن كان الذي ولدته ذكراً أربعين يوماً وإن كانت أنثى فثمانين يوماً "(قانون ١٨) .

كما جاء في قوانين البابا ديونيسيوس السكندري الرابع عشر (٢٤٦-٢٦٤م)في رده على سؤال يخص هذا الموضوع "فيما يتعلق بالنساء الحائضات فيما إذا كان يجب أن يدخلوا بيت الله مادمن في تلك الحالة أظن أنه ليس من الضروري حتي أن يُطرح هذا السؤال. فاني أعتقد إنهن أنفسهن إذا كن مؤمنات وتقيات لا يجرؤن حينما يكن في هذه الحالة على أن يقتربن من المائدة المقدسة أو يلمسن جسد المسيح ودمه. لأنه حتى المرأة نازفة الدم لإثنى عشر عاماً لم تلمسه فعلاً لكي تُشفى ولكنها فقط لمست هدب ثوبه، وليس ثمة إعتراض على أن يصلي الواحد ويلتمس أن يجد عوناً ولكن إذا لم يكن طاهراً كله في النفس والجسد يجب أن يُمنع من أن يتقدم إلى قداس الأقداس"(قانون ٢)

وورد في قوانين القديس تيموثاؤس البطريرك السكندري الثاني والعشرون(٣٧٠-٣٧٦م)"لا يجوز للمرأة وهي في دور حيضها أن تشترك (تتناول)إلى أن تعود نقية"

والقوانين الكنسية لا تمنع المرأة الحائض من التناول والذهاب إلى الكنيسة على أساس أن ذلك نجاسة ولكن لكى يعود جسدها لحالته الطبيعية ليكون مسكناً لائقاً ومعداً (نظيفاً) لقبول جسد الرب ودمه.

+ غسل الفم والأسنان.

عندما سُئل القديس تيموثاؤس البطريك السكندري أل ٢٢. هل إذا صام رجل وعزم على التناول ولكنه إذا كان يغسل فمه وإذ كان يغتسل وبلع قليلاً من الماء عن غير قصد فهل يجوز أن يتناول؟!

قال القديس "نعم ...لأن الشيطان دائماً يجد سبيلاً ليمنعه من الأسرار الإلهية "(قانون ١٦).

ويؤيد القديس ساويرس ابن المقفع إمكانية التناول في حالة دخول شيء إلى الفم سهواً ودون قصد، إلا أنه يشدد في ضرورة ألا يدخل الفم أي شئ قبل تناول جسد المسيح ودمه ولا يلمس اللسان شيئاً من جميع الأشياء التي في الدنيا قبل تناول القربان(عن كتاب الدر الثمين في إيضاح الدين)

ويفضل عدم غسل الفم والأسنان صباح يوم التناول إستنادا إلى ما جاء في شريعة أكل خروف الفصح حيث كان الإسرائيليون لا يأكلون أي شئ قبل أكل الخروف لتكون أفواههم مرة فتذكرهم بمرارة العبودية التي عاشوها تحت يد فرعون، وأكلهم لخروف الفصح يذكرهم بحلاوة إنقاذهم من تلك العبودية.

يمكننا أن نوجز ونضيف من شروط سر التناول؟

١- محاسبة النفس عما إرتكب من رذائل وعما نقصه من فضائل

٢- مراجعة النفس من جهة حفظ الوصايا وإتمامها بأمانة وتنفيذ شروط المحبة لله وللتقرب منه .

٣- تلاوة الصلاة التي تسبق التناول (الموجودة بالاجبية أومعلقة بالكنيسة)

٤- الصوم (الإنقطاع عن الطعام والشراب من ٦-٩ساعات) طبقا لقوانين الرسل

٥- الإمتناع عن العلاقات الزوجية لمدة ٣ أيام قبل الإقتراب من السر (خر١٩/١٥ يؤ٢/١٦).

٦- إجتناب المحادثات الباطلة وعدم الإنشغال بالأمور العالمية.

٧- التقدم للسر بهيبة وخشوع وإتضاع كغير مستحق للتناول منه.

٨- تقديم الشكر قبل وبعد التناول

٩- حفظ الحواس من الدنس (عب٥) وإخفاء اللسان(مز٢٩/١)

١٠- الإحتراس بعد التناول بعدم البصق على الأرض

١١- لا ينبغي أن تطول فترة عدم الإعتراف والتناول حتى أربعين يوماً.

١٢- لقداسة السر وسِمُوه يمكننا أن نسترسل في التداريب إستعداداً لهذا السر المهيب ،يجب على المتقدم بإستحقاق لنوال هذا السر الإلهي وهو ذاهب إلى الكنيسة أن يفتدي كل لحظة مفتدياً تشتت الفكر في أي موضوع خارج هذا السر، وبعد أن ينال من الأسرار المقدسة يتفادى الأحاديث مع أي شخص. وهذا واضح وموجود في قصص الآباء وأقوالهم. يجب على الإنسان في اليوم الذي يتناول فيه يهرب من كل الناس، ويجتهد أن يكون بكليته ملكاً للّه الذي يملك داخله. فيكون يوماً مخصصاً للرب ويقضيه الإنسان في كل ما يتعلق بمن في داخله سواء في صلوات أو قراءات أو ترانيم وتسبيح، وليس أقل من أن يعيش الإنسان المتناول في فرح دائم بالسيد المسيح الحالل فيه.

وإن لم يستطع التفرغ وظروفه لا تسمح، عليه أن يبقى اللّه في فكره وقلبه سواء في الطريق أو في العمل أو الخدمة شاعراً بالأسرار المقدسة في داخله طالباً من اللّه في كل وقت أن يعمل بروحه القدوس في داخله.

١٣- كذلك يجب أن نتقدم للتناول بمخافة مع فرح وسلام وعدم إستحقاق لأنه لا يوجد من يستحق أن يرى أو يتناول من الجسد الطاهر والدم الكريم.

أخيراً عزيزي: لكي ينال الإنسان النعم الإلهية من خلال الأسرار الكنسية لابد أن يتوفر لها شروط نوالها ألا وهي الإيمان أولاً ثم الإستعداد الشخصي في السهر والجهاد.

الفصل الثالث: بعض من الممنوعين من التناول

(١) غير المؤمنين.

جاء في الدسقولية "لا يقرب غير مؤمن ولا ممنوع، ولكن يُسمح للممنوعين أن يتناولوا إذا دنت منهم المنية" (فصل ٢٨).

كما جاء في الكتاب الأول من قوانين الآباء الرسل ما يلي "يهتم كل واحد بثبات أن لا يتناول أحد كمن غير المؤمنين من السرائر ..." (رسل١ :٤٤)

وجاء في قوانين أبوليدس "لا يدع واحد أن يتناول من السرائر إلا المؤمنين وحدهم" (فصل ٢٨).

وجاء في الديداكية "لا يأكل ولا يشرب من قربانكم غير المعمدين باسم الرب ،فقد قال الرب في هذا الشأن لا تعطوا القدس للكلاب "((فصل ٩)

ومن الآيات الكثيرة التي تثبت ذلك نورد بعضها :-

" سَتَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِأَنِّي أَنَا هُوَ، تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ"(يو٨: ٢٤)

"هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ"(يو ٣ :١٦)

(٢) الهراطقة والمفروزين والمقطوعين.

الكنيسة تفرز هؤلاء الهراطقة وتمنع عنهم سر التناول حتي يرتدعوا ويرجعوا عن طريق ضلالهم ،وما لم يعودوا لصواب أفكارهم واستمروا في تعنتهم تشتد العقوبة عليهم فيواجهون ليس الفرز فقط بل القطع أيضاً .

وقد جاء عن مجمع اللاذقية "المبتدعون لا يجوز لهم الدخول إلي بيت الله ما داموا مصرين علي البدع"(قانون٦)

(٣) السحرة والمنجمون.

يكسب السحرة والمنجمون عيشهم من ممارسة السحر أي أنهم يأكلون من مائدة الشياطين وبالتالي لا يقدرون أن يشربوا كأس الرب وكأس الشياطين(١كو١٠ :٢١)ومن هنا منعت الكنيسة التناول عن السحرة والمنجمين إلي أن يقلعوا عنه ولا يعودوا إليه مرة أخري ويتوبوا توبة حقيقية.

وجاء في قوانين الآباء الرسل(١ :٢٨) أن لا يؤتي بساحر إلي صفوف المؤمنين .

وجاء في قوانين مجمع أنقرا"أن ممارسي السحر ومتبعي العادات الوثنية والذين يأتون بالبعض إلي بيوتهم ليقرأوا الرقي ويتلوا العزائم يقعوا تحت قانون التوبة خمس سنوات"(قانون ٢٠)

وجاء في قوانين القديس باسيليوس الكبير "إذا أسقط واحد امرأة بسحر ويكون معها يجب عليه أن يقيم كل عمره خارجاً وفي آخر حياته أو شدته فليكن مستحقاً للسرائر لأنه صنع ثلاث خطايا ثقيلة جداً الزنا والقتل والسحر"

(٤) الزني والثبات فيه.

إن خطية الزني من الخطايا البشعة جداً التي أمر الرسول بولس بالهروب منها ويترتب علي هذه الخطية أن الثابتين فيها لا يرثون ملكوت السموات وليس لهم ميراث في المجد الأبدي (أف٥ :٥،١كو٦ :٩) كما أن نصيبهم يكون البحيرة المتقدة بالنار والكبريت(رؤ٢١ :٨)وإن الله سيدينهم علي جرم أفعالهم (عب١٣ :٤)

أنظر أيضاً (١كو٣ :١٦ ،١كو٦ :١٥-١٦-١٧-١٨)،١تس٤ :٣-٥-٨)

والكاهن عندما يمنع إنساناً عن التناول بسبب الزنى إنما ينفذ الوصية التي تُليت عليه يوم رسامته "احرص على هذه السرائر حرصاً يخلصك من الجرائم، ولا تناوله إلا للحسن السيرة ذي السمعة الطاهرة، وليمنع من كانت سيرته شريرة لئلا يقتل نفسه وتكون أنت سبباً في هذه الجريمة"

وهناك حالات كثيرة من حالات الزواج التي تعتبر في نظر الكنيسة خطأ وتمنع مرتكبها من التناول وهذه الحالات هي:-

(أ) الزواج بمطلقة (بدون تصريح من الكنيسة) (مت ١٩ :٣-١١).

(ب) الجمع بين زوجتين.

(ت) الزواج المختلط بين المؤمنين وغير المؤمنين.

(ث) الزواج المختلط مع الطوائف الأخرى.

(ج) الزواج المحرم شرعاً.

(ح) زواج الرهبان وكسر نذر البتولية.

(خ) وسوف نبحث كل هذه الحالات عند دراستنا لسر الزيجة المقدس .

الفصل الرابع : مناولة الأطفال من هذا السر

إن الكنيسة المقدسة الرسولية منذ نشأتها إعتادت حسب التعليم الرسولي أنها كما تعمد الأطفال على إيمان والديهم أو أشابينهم، هكذا تمنحهم سر جسد الرب ودمه الأقدس، قوتاً روحياً لهم لنيل الحياة الأبدية حسب وصية الرب ،ولكن كنيسة رومية كما حرمت الأطفال من سر الميرون المقدس هكذا ابتدأت منذ القرن الثاني عشر أن تحرمهم من سر الشركة المقدس، بدعوى أنهم لا يفهمون، على أن ذلك باطل لأنهم لا يفهمون معنى سر المعمودية الذي يمنحونه. وما قلناه سابقا في سر الميرون ذلك كاف لإدحاض هذا الزعم هنا أيضا، لاسيما وأن المخلص يقول بصريح العبارة"دعوا الأولاد يأتون اليَّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات"فأي ذنب وأية جريمة إقترفها هؤلاء الأطفال حتى يحرموا من بركات هذا السر الاقدس. قال القديس أوغسطينوس"وحقاً من يتجاسر ويقول أن الرأي لا يخص الأطفال وأنهم يستطيعون أن تكون لهم حياة فيهم من دون مشاركة في الجسد والدم" (الساقطين١:٢٠) وقال البابا إينوشنسيوس الأول"أمر خارج عن الواجب أن يكرم الأطفال بقرابين الحياة الأبدية قبل أن ينالوا نعمة المعمودية. لأنهم إن لم يمضغوا دمه لاتكون لهم حياة فيهم"(رسالة٤٣) وهكذا القانون الذي سنته كنيسة رومية في القرن التاسع"ينبغي أن يعتني بالأطفال حتى لا يذوقوا غذاء ما أو يرضعوا بعد المعمودية قبل أن يشتركوا بسر جسد المسيح إلا عند الضرورة الأخيرة " راجع (أوامر الرسل كتاب ٨فصل٢١) وديوناسيوس الاريوباغي في (رئاسة الكهنوت ١١:٧) وكبريانوس في (الساقطين وشهادات ضد اليهود ٢٥:٣).

تساؤل

إن كان جسد المسيح ودمه نور ونار فكيف يتناوله الإنسان الضعيف الخاطيء؟؟ لأنه ليس كونه صائم ولم يأكل يكون من حقه التناول؟!

لكي نستفيد يجب أن نمتحن أنفسنا جيداً ،هل مازال فينا إشتياقات للخطية موجودة داخل قلوبنا أم لا؟

ولكي يكون مستحقاً للتناول من جسد المسيح ودمه وهو داخل الكنيسة يصرخ كذلك من قلبه ويقول له : يارب أنا أريد أن أتقدم إلى جسدك ودمك ولكن لا تجعلني أتقدم بدون إستحقاق، بل اعطينى هذا الإستحقاق و أنا من كل قلبي أكره الخطية.

ومثل هذا الإنسان الذي يكره الخطية من كل قلبه ويعترف بها،اللّه يفرح ويسر به،وحتى لو وقع وضعف ربنا لا يتركه ويعطيه قوة ومعونة وكلما يتقدم إلى جسده ودمه يثبت فيه والسيد المسيح يثبت فيه ويثبته.

نحن لا نستطيع أن نتقدم في الفضائل المسيحية والحياة المسيحية الكاملة بدون التناول فعندما يشعر أحد أنه لا يتناول، لأن خطاياه كثيرة وينتظر حتى يتخلص من خطاياه لكي يتناول هذا أمرغير ممكن، لأن الإنسان لا يستطيع التخلص منها بدون التقدم إلى جسد المسيح ودمه، فهو يتقدم للتناول قائلاً معترفاً للّه تعالى ولأب إعترافه مصلياً "يارب اعطيني خلاصاً وثبوتاً فيك"

واللّه قادر أن يعطينا أن نتقدم إلى جسده ودمه الطاهر ونحن واثقين تمام الثقة بإيمان كامل أن الذي يتقدم إليه هو هو جسد المسيح ودمه، نأخذه لكي تكون لنا حياة وثبات فيه.

الفصل الخامس: وجوب التناول بتواتر من سر الإفخارستيا:

إنه لا قيمة لإيماننا بهذا السر ما لم ننتفع ببركاته، بل إن إيماننا بالسر و إعتقادنا في حقيقة الإستحالة الجوهرية يحسب دينونة علينا إذا أهملنا التقدم للسر و إستغلاله عملياً لفائدة أرواحنا. فإهمال التناول سر هو استهتار وعدم تقدير، و لو كان بحجة نقص الإستعداد اللائق بجلاله.

إن سر الإفخارستيا هو محور عبادتنا الجمهورية و مركزها الذي تدور حوله، وحضور القداس الإلهي معناه حضور المائدة الربانية و الوليمة السمائية. فما معنى حضور الوليمة إذا لم نأكل منها؟!

فمن يُدعى إلى وليمة و يلبي الدعوة إليها يجب أن يكون مستعداً لأن يأكل منها و إلا فإن حضوره يصبح لا معنى له، و يثير تساؤل الناس و اشمئزازهم، كما يعد إهانة لصاحب الوليمة و مدعويه و إحراجاً لهم جميعاً.

إن عدداً كبيراً من المسيحيين لا يتقدمون إلى المائدة الربانية إلا في مناسبات خاصة و قليلة مثل يوم العماد و يوم الزواج أو في مناسبات عامة و مواسم كنسية كيوم خميس العهد و بعض الأعياد السيدية أو كلما كانوا إزاء مشكلة عسيرة أو موقف صعب قبل الإمتحانات أو للخلاص من مرض مستعصي أو للتغلب على ضيقة أو أزمة شخصية أو عائلية.

و ليس الخطأ في أن يتناول المؤمن من سر الإفخارستيا في تلك المناسبات، و لكن الخطأ أن يكتفي بتلك المناسبات وحدها، وأن يظن أن هدف التناول قاصر على تلك الأغراض الخاصة.

فالتناول من سر الإفخارستيا عهد و ميثاق بين المؤمن و بين الله يجب تجديده دائماً. قال السيد المسيح "اشربوا من هذا كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد" (متى ٢٦: ٢٧، ٢٨) ، (مرقس ١٤: ٢٤) ، (لوقا ٢٢: ٢٠) .

و التناول سر إتحادنا بالمسيح من جهة، و شركتنا مع بعضنا بعضاً من جهة أخرى "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد و جسد واحد ، لأننا جميعا نشترك في الخبز الواحد" (كورنثوس الأولى ١٠: ١٧). و التناول غذاء النفس و قوة الروح، وكما أن الإنسان لا يكتفي بالطعام المادي مرة واحدة و إنما يتناول منه في كل يوم لتجديد قواه و إستمرار نشاطه و إلا أصابه الذبول والضعف. كذلك يجب التناول من سر الإفخارستيا بتواتر و إستمرار لتجديد قوى النفس و الذهن و مواصلة نشاطها.

و قد كان المسيحيون الأوائل منذ فجر العصر الرسولي الأول "يواظبون على تعليم الرسل و الشركة و كسر الخبز و الصلوات" (أعمال الرسل ٢: ٤٢) .

و في الدسقولية (تعاليم الرسل) أوامر صريحة منها: "يتناول الأسقف هو أولاً من السرائر المقدسة ثم يعطيهم كلهم منها على الطقس" أي القسوس ثم الشمامسة و بعد ذلك كل الشعب الرجال ثم النساء.

و جاء في قوانين الرسل: "و ليقترب الأسقف أولاً، و بعده القسوس و الشمامسة، و بعدهم سائر الشعب، و بعد الذكور تتناول النساء، و ليُرتل إلى أن يتناول القربان كافة المؤمنين".

و يقول القديس باسيليوس الكبير: "إن الإشتراك في جسد و دم المسيح المقدسين و التناول منها في كل يوم جيد و مفيد ....." إني في الواقع أتناول من سر الشركة أربع مرات في الأسبوع: في يوم الرب (الأحد)، و في يوم الأربعاء، و في يوم الجمعة، و في يوم السبت، و في الأيام الأخرى التي يكون فيها تذكار لأحد القديسين" (رسالة ٩٣).

و يقول القديس أوغسطينوس: "يجب أن لا يمنع الإنسان نفسه عن التناول يومياً من جسد الرب لشفاء نفسه، إلا إذا كانت خطاياه عظيمة جداً بحيث تجعله مستوجباً لحكم الحرمان من الشركة المقدسة".

تساؤل آخر

يقول السيد المسيح "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه"

فإذاً" كلما نتقدم إلى جسد المسيح ودمه يبقى بنثبت فيه"

ولكن لماذا أحيانا كثيرة عندما نتناول لابنشعر بأي تغيير أو ثبات في المسيح ونعود للخطية مرة أخرى؟

الحقيقة هذا ينبع من داخل الإنسان وليس تقصيراً في السر أو في عمل الله داخلنا لأن الله لا يريد أن يسلب حرية إرادة الإنسان، هو يثبت فيك إذا كان عندك فعلاً عزيمة قوية أن تثبت فيه فعندما تتقدم لجسد المسيح ودمه أصرخ كذلك: واطلب من ربنا أن يعطيك ثبات فيه وقل له: يارب أنا بأخذ جسدك ودمك ولكن أنا مازال ثابت في الخطية، ولا أريد تركها، وقلبي متعلق بالعالم فأريد أن تثبت أنت فيّ وتعطيني ثبات فيك، اعط لجسدك ودمك أن يقدس كل جسدي وطالب الله بهذا الوعد إن من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه وفعلاً تشعر بالتغيير وعندك قوة بتتغلب بيها على الخطية، الخطية التي تكون مسيطرة عليك فبعد التناول اختلف الوضع واصبحت إنسان قوي، وممكن بكل سهولة تتغلب على الشر وتحيا في حياة قداسة كاملة ناتجة منك أنت ورغبتك وطلبك فعلاً من كل قلبك أنك تريد أن تثبت في السيد المسيح.

الباب الثامن : موضوعات متعلقة بالسر

الفصل الاول : إيمان الكنيسة الأرثوذكسية في هذا السر:

إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر وإستدعاء حلول الروح القديس على القرابين يستحيل الخبز والخمر إستحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين. حتى أن الخبز والخمر اللذان ننظراهما على المائدة ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلى الخبز والخمر.

ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز. ولا بأنه مستتر فى الخبز بل هو حاضر حضوراً فعلياً. وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها. لأن الرسل الأطهار تسلموا هذا الإيمان وسلموه لجميع المؤمنين في كل المسكونة.

الفصل الثاني: الذين أنكروا حقيقة هذا السر:

حتى القرن الثامن لم يقم من يقاوم حقيقة هذا السر الأقدس ، ولكن في القرن التاسع قام يوحنا أريجانا الإيرلندى وإبتدع بدعة بأن هذا السر لا يحوى جسد المسيح ودمه حقيقة، زاعماً أن الإفخارستيا ليست إلا صورة يسوع المسيح. وفي هذه الهرطقة عينها وقع برنغاريوس رئيس مدرسة تورس بفرنسا في القرن الحادي عشر آخذاً هذا التعليم من كتاب أريجانا المذكور. وفي القرن الثاني عشر كان البطروسيون " تلاميذ بطرس دي بريز بفرنسا " وأتباع هنريكوس الإيطالى يعلمون هذه الضلالة أيضاً قائلين إن سر الشكر ليس إلا إشارة مَحْضة إلى جسد المسيح ودمه. وفى هذا الضلال وقع أيضاً الهراطقة المعروفين باسم الالبيجنسيين في القرن الثالث عشر . ثم نشر هذه المزاعم أخيراً يوحنا ويكلف الانجليزي وزوينكل وكلفن وتلاميذهم الذين ينكرون حضور الرب يسوع في هذا السر، ويعلمون أن الخبز والخمر يلبثان بعد التقديس خبزاً بسيطاً وخمراً بسيطاً، وليسا هما سوى إشارة وصورة ورمزاً ومثالاً ومجازاً لجسد المسيح ودمه.

أما أتباع لوثيرو س فإنهم يخالفون تلك الآراء ويعتقدون بحقيقة حضور الرب يسوع المسيح في سر الشكر، غير أنهم يزعمون أن حضوره إنما هو بواسطة دخوله في الخبز والخمر اللذين يلبثان غير متغيرين ولا مستحيلين. وفي ذلك قال لوثيروس : " أو جسد المسيح هو في الخبز مع الخبز تحت الخبز " ولكن الكنيسة الأرثوذكسية تنكر وترفض كل هذه الآراء والمزاعم و مَنْ أسسها .

الفصل الثالث: إثبات صحة الحقيقة الأرثوذكسية في هذا السر

إن الكنيسة الأرثوذكسية قبلت هذا السر وما زالت تقبله مفسرة كلام المسيح على حقيقته تفسيراً حرفياً. ومن الأدلة الآتية يتضح لك صحة هذا الإيمان وخطأ الذين يزعمون بأن هذا الكلام رمزاً أو مجازاً:

إن كلام المسيح له المجد في هذا السر يتضمن ثلاث قضايا إيجابية وهي: الشهادة، والميثاق، والأمر.

أولاً الشهادة: فالشهادة الصحيحة في سائر الأحكام الشرعية محكوم بها على حسب نطقها الصريح. ولا يدخلها المجاز ولا تقبل التأويل. وبمقتضاها يتبرر الإنسان أو يحكم عليه. وإذا دخلها شيء من المجاز أو التأويل أو لم تكن متوفرة الشروط المعتبرة فإنها ترفض ولا يحكم بموجبها. وكما قال القديس يوحنا الرسول: "إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم" (١يو٥:٩) فالسيد المسيح شهد لجسده بأنه مأكل حق ولدمه بأنه مشرب حق. ونظير هذه الشهادة شهد لأبيه قائلاً "كلامك هو حق" وشهد الآب لابنه قائلاً "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" فمن ذا الذي يتجاسر وينكر شهادة المسيح. فإذا كانت شهادة المسيح لجسده مجازية تكون شهادة الآب لابنه مجازية أيضاً، وهذا كُفر لا يقول به أحد من المسيحيين.

أما الميثاق: فهو عبارة عن عقد معاهدة بين اثنين فصاعدا. وحكمه كحكم الشهادة بالتمام. لأن المواثيق يحكم بمقتضاها في سائر الأحوال الشرعية على حسب شروط المتعاقدين ويستحيل إدخال أقوال في شروطها من قبيل المجاز أو أي قول يقبل التأويل. والشرط الذي يوجد فيه شيء من ذلك يرفض ولا يصح أن يكون ميثاقاً، لأن ذلك يوجب وقوع الإشكال والتنازع بين المتعاقدين، وفي هذه الحالة يؤول كل من المتعاقدين الكلام بحسب غرضه فيعتذر صحة الحكم. وإن لم تكن المواثيق متوفرة الشروط المعتبرة فإنها لا تعتبر وتكون ملغاة لا عمل لها. وبحسب هذه القاعدة نرى المخلص له المجد في كلمات العهد الجديد قرر ميثاقاً أبدياً عاقدنا به بقوله "من لم يأكل جسدي ويشرب دمي فليس له حياة أبدية" ونظير ذلك قرر أن "من لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يعاين ملكوت الله"، "ومن لم يؤمن يدن"

أما الأمر: فشرطه أن يكون صريحاً، خالياً من كل إبْهام، غير قابل للتأويل والمجاز، لأنه لو قبل ذلك لتوقف عمله، والأوامر منزهة عن التأويلات. فالسيد المسيح له المجد أمر تلاميذه قائلاً: "خذوا هذا هو جسدي وهذا هو دمي" فمن يقدر أن يغير كلامه أو يدخل فيه نوعاً من المجاز ويقول أنه شبه جسداً أو رسم جسده أو رمز إلى جسده.

ومما يؤكد هذا :

أولاً: أن اليهود أنفسهم الذين خاطبهم السيد بتلك الأقوال قد فهموها فهماً حرفياً لا رمزياً و لا مجازياً. لأنهم عندما سمعوه يقول: (أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. و الخبز الذي أنا اعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٥١)

ثانياً: إن الرب يسوع كان من عادته متى تكلم عن أمر ورأى أن اليهود قد فهموه على غير المقصود، يبادر له المجد ويوضح لهم المعنى الحقيقي ويرفع من أمامهم كل إبهام (راجع يو٢: ٥-٣& ٤: ٣٢&٨: ٢١-٤٠&١١&١٦: ١٨&مت١٦: ٦&١٩: ٣٤)

ولكننا هنا نرى الأمر بالعكس فإنه يزيد الكلام قوة ويؤكد قائلاً "الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق" (يو٦: ٥٣ – ٥٥) فنلاحظ هنا:

١- أنه بدأ كلامه بقوله " الحق الحق " التى كان معتاداً أن يبدأ بها عندما يقصد إيضاح حقيقة من الحقائق وزيادة تأكيدها .

٢- أنه يفرض الشركة في جسده وفي دمه أمراً ضرورياً للحصول على الحياة الأبدية بقوله " إن لم تأكلوا .. فليس لكم حياة فيكم .. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية".

٣- إن كلمة "حق" في قوله " جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق "تشهد بأن موضوع التأكيد فى كلامه غير قابل للتغيير إلى معنى آخر غير الجسد" .

ثالثاً: أن تلاميذ المسيح قد فهموا هذا المعنى الحرفي ولذا ضاق فكرهم ولم يستطيعون فهمه. فطفق كثيرون منهم يتذمرون قائلين: "إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه" (يو٦: ٦٠)

رابعاً: أن كثيرين من تلاميذه رجعوا عنه لأنهم لم يقدروا أن يفهموا كلامه واستصعبوا الأمر، فلو لم يكن المسيح يقصد جسده الحقيقي ودمه الحقيقي بل يقصد الرمز إلى جسده – كما يتوهم البعض الآن – لكان فسر لهم ذلك ولم يدع هؤلاء التلاميذ ينفصلون عنه.

خامساً: أن السيد المسيح سلم هذا السر الأقدس في ليلة آلامه إلى تلاميذه وأخصائه وأصفيائه الذين قال لهم أنتم أصدقائي ، ونطق بكلامه في برهة لم يكن يتكلم فيها بأمثال وألغاز ورموز ومجازات، بل تكلم صريحاً وعلناً لأنها الساعة الأخيرة من حياته

سادساً: أن جميع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً قد فهموا هذا الكلام وقبلوه بمعناه الحرفى وكذلك فسرته المجامع

سابعاً: أن عبارة "أكل اللحم" في الكتاب المقدس إذا وردت بمعنى رمزي فإنها تدل على الوقيعة والسعاية والمذمة وعمل الشر (راجع مز ٢٦:٢&أى ١٩:٢٢)

ثامناً: أن قرائن الأحوال تدحض رأي المعترضين الذين يفسرون كلمة "أكل الجسد" بمعنى الإتحاد والإشتراك الروحي مع الجسد وبالتالي الإيمان به. إذ يُرد عليهم بأن المسيح كان يتكلم وقتئذٍ مع سامعيه، ويعدهم بطعام جديد لم يذوقوه إلى ذلك الوقت، وأنه مزمع أن يعطيه لهم في المستقبل "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي" فلو كان يشير إلى الإيمان به لا إلى جسده لوجب أن تصدق أن جميع تلاميذه إلى ذلك الحين لم يكونوا قد آمنوا به، على أن ظروف الأحوال ونفس الكلمات التي قررها المسيح تنفي هذا الزعم الباطل.

تاسعاً: إذا إلتفتنا إلى كلام الإنجيليين نجد فيه الأدلة القوية التي تزيل كل ريب حيث أن القديسين متى ومرقس ولوقا يوضحون المعنى بكلام صريح العبارة، لا رمز ولا مجاز فيه، وبولس الرسول الذي لم يكن حاضر هذا السر وتسلمه فيما بعد يقول لأهل كورنثوس: "أقول كما للحكماء. احكموا أنتم في ما أقول. كأس البركة التي نباركها. أليست هي شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره . أليس هو شركة جسد المسيح " (١كو١٠:١٥، ١٦) فمن هذا الكلام يتضح:

١- أننا نشترك في جسد المسيح ودمه بواسطة إشتراكنا في الخبز وفي الكأس .

٢- أن الذي نشترك فيه هو جسد الرب ذاته لأن من يتناوله بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب. فإذا لم يكن هو جسد الرب ذاته فكيف يكون إنسان مجرماً فيه؟

وقد أخبرنا القديسان كبريانوس ويوحنا ذهبي الفم في أيامهما أن بعضاً من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا إلى الإفخارستيا إغتالتهم يد النقمة الإلهية. فمنهم من بلى بالخرس. ومنهم من أكل لسانه. ومنهم من كان يعذب بعذاب شديد، إلى غير ذلك من البلايا التي حلت عليهم

الفصل الرابع: الهرطقات التي ظهرت حول سر التناول المقدس

زعم الإيرلندي (أريجانا) أن الإفخارستيا ليست سوى صورة يسوع المسيح ضارباً بأقوال الفادي وقرارات المجامع المسكونيه وأقوال آباء الكنيسه الاولى عرض الحائط. وأنكر البروتستانتي (كالفن) حضور الرب في هذا السر أي يلبث الخبز والخمر كما هما

+ ويقول اللاهوتي البروتستاتي إديسون ليتش: (لا تعترف الطوائف الإنجيلية إلا بالمعمودية والعشاء الرباني، ولا تعتبرهما أسرارا بمعنى الكلمه بل تسميهما (فريضه) وهما من وضع الرب نفسه. وجاء في دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر مايلي: (نؤمن بأن المعمودية والعشاء الرباني فريضتان رتبهما المسيح، ولهما قانونية والتزام دائماً. ويجب على كل من يتقدم للتناول بدون سبق إمتحان نفسه(ماده/٣٠)(٤٠)وذلك على الرغم من أن مارتن لوثر زعيم البروتستانت عندما كان يجادله أصحابه كان يقرر قول الرب "هذا هو جسدي ويكتبها في المحضر بخطه أمام الجميع رافضاً كل فلسفة بشرية، ويقول "إني أصرح بأني أختلف عن خصومي في تعليم عشية الرب، وأني أختلف دائماً عنهم فإن المسيح قد قال هذا هو جسدي، فليبينوا لي أن الجسد ليس هو جسده، وإنى أرفض العقل والعرف والإحتجاجات اللحمية والبراهين التعليمية فإن الله أعلى من الهندسيات. عندنا كلام الله فيجب علينا أن نكمله ونحترمه"(راجع تاريخ الإصلاح للعلامة ميرل روبينياه جزء ٢ صحيفة ٣٨٢).

الفصل الخامس :بعض المزاعم في السر والرد عليها

إن بعض الفرق المسيحية الذين لايؤمنون بهذا السر الأقدس يعترضون على تعليم الكنيسة في شأنه ببعض إعتراضات نذكر هنا أهمها مع الرد عليها وهي:

أولاً: يزعمون أن الخبز والخمر فى هذا السر ما هما إلا مثال ورمز لجسد المسيح ودمه.

الرد: جاء في كتاب القواعد السنية في تفسير الأسفار الإلهية تأليف القس جيمس أنس الأمريكى(صفحة١٦٢) ما يأتي "أن الرمز هو ما عينه الله إشارة إلى أمر أعظم منه عتيد أن يكون في نظام ملكوته سمي المرموز إليه".

وهذا الحد يتضمن ثلاثة شروط.

الأول: وجود إشارة حقيقية في الرمز إلى المرموز إليه. وهي مبنية إما على مشابهة خارجية أو داخلية روحية.

والثاني :تعيين الرمز من قبل الله للإشارة إلى المرموز إليه. وهذا التعيين من باب الإستعداد لإظهار المرموز إليه في حينه.

والثالث أن المرموز إليه يكون من الأمور المتعلقة بمستقبل ملكوت الله"

فإذا طبقنا هذا التعريف على ما نحن بصدده ظهر الفرق الواضح بين الرمز وبين هذا السر الذى وضعه السيد للعهد الجديد.

قال طيب الذكر المرحوم عريان مفتاح في رده على هذا الإعتراض "المثال والرمز لابد أن يكون بينهما وبين الممثل به والمرموز اليه تناسب معنوي يدل على صفته التي

يقصد تمثيلها والرمز إليها، والقياس على ذلك ذبح اسحق حين أمر الله أباه إبرهيم بأن يقدمه له قربانا (تك٢٢:١-١٨).

ثانياً : يزعمون أن كلام المسيح عن جسده ودمه مجازى لا حقيقى

ويوردون بعض عبارات مجازية وردت في الكتاب المقدس كقوله : أنا هو الباب والطريق، وتسميته سمعان بصخرة، وهيرودس بثعلب، والمعمدان للسيد بحمل، وأن السيد المسيح على هذا القياس قد سمى نفسه خبزاً. وبناءً عليه يعتقدون بأن تعليم السيد عن هذا السر مجازي.

الرد: أن المجاز هو إستعارة اسم شيء لغيره لتناسب بعض صفاته،والمقصود منه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعنى المراد إستعمال المجاز له، فمثلاً يُستعار النور والظلمة للنجاح والضيق والفرح والحزن، للمعرفه والجهاله.وينابيع المياه والامطار والظل وندى الليل لبركات الإنجيل، وما أشبه ذلك. والمجاز في الكتاب المقدس نوعان:

الأول: ما يكون الغرض منه ظاهراً لسامعيه كتسمية السيد المسيح لهيرودس بثعلب نظراً لما كان معروفا ومتصفاً به من المكر والخديعة المتصف بهما الثعلب. وتسمية يوحنا بإيليا لمشابهته له في النسك والغيرة. وقد سبق النبي فأخبر بأنه يتقدم المسيح بروح إيليا وقوته(ملا٣:١، ٤:٥).

وأما الثاني: فهو ما يكون غامضاً على سامعيه فيلتزم المتكلم بإيضاح قصده منه كقول السيد"أنا هو الباب" الذي فسره بقوله"إن دخل أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى"(يو١٠:٩) وقول"أنا هو الطريق"وفسره"ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو١٤:٦) وقوله"أنا الكرمة"وفسره بقوله"كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمه كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فيَّ..بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو١٥:١-٦).

ثالثاً: يقولون أن السيد المسيح قال عن هذا السر"اصنعوا هذا لذكري"فهو أذاً تذكار لجسد المسيح ودمه، والشيء لا يكون تذكاراً لنفسه.

الرد: ندفع هذا الإعتراض بعد أن نعرف أنواع التذكار الأربعة...

إما عينا (أي من عين الشيء)كالمن الذي أمر الله موسى بحفظه في قسط من الذهب تذكارا للمن (وهذا ينفي القول بأن الشيء لا يكون تذكاراً لنفسه لأن المن كان تذكاراً لنفسه)

وإما أثرا كالحجارة التي أمر يشوع بن نون بأخذها من أرض الأردن تذكاراً لمرورهم فيه (يش٤:٩)

وإما صورة كالكروبين اللذين أمر النبي بصنعهما ووضعهما في قبة الشهادة تذكاراً للسمائيات

وإما خبرا كما فعل موسى النبي إذ قص على بني إسرائيل، عما صنع الله على يديه معهم... فالخبز والخمر اللذين سلمهما السيد لتلاميذه ليسا تذكارا أثريا ولا صوريا ولا خبريا.

رابعاً: يزعمون أن السيد المسيح قصد بكلامه عن جسده ودمه في الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا الإيمان به.

الرد: أن قرائن الكلام وظروف الأحوال تنفي هذا الزعم، لأن السيد له المجد كان يَعِدَهُم بطعام لم يذوقوه بعد، بل وعدهم بأنه سيعطيهم إياه في المستقبل. فلو كان كلامه يقصد منه الإيمان به لا إلى جسده ودمه لوجب أن نسلم بأن جميع الذين كانوا يسمعونه كانوا غير مؤمنين به، والحال أن تلاميذه سبق فآمنوا به.

ومن الملاحظات الجديرة بالإعتبار أن يوحنا الإنجيلي إكتفى بما أورده عن هذا السر في الأصحاح السادس، ولم يذكر تأسيسه عندما سلمه الرب لتلاميذه كما كتب باقي الإنجيليين، وهذا دليل مقنع أن يوحنا الإنجيلي يقصد بكلامه جسد الرب ودمه لا الإيمان به.

خامساً: يزعمون بأن كلام بولس الرسول (١كو١٠:١٥-٢٢)عن كأس البركه والخبز المقدس إنها شركة جسد المسيح، لا يترتب عليه أن يكون الخبز والخمر جسد المسيح ودمه بل شركة فقط، وأن تسمية الرسول لهما خبزا وكأسا دليل على عدم الاستحالة.

الرد: أن الإشتراك في الشيء هو الحصول عليه، وإلا فلا يكون المسيح إشترك في جسدنا. لأن الرسول يقول" فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم إشترك هو أيضاً كذلك فيهما"(عب٢:١٤). ويقول " لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (أف٥:٣٠) .

سادسا: يعترضون بقولهم كيف أن الخبز والخمر اللذين هما من نباتات الارض يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ويكونان هما جسد ودم المسيح.

الرد : إن الإستحاله نوعان، حسية أي واقعه تحت الحواس، وسَّرية لا يقع عليها حكم، والإستحاله هي إنتقال الشيء إلى غيره. فالحسية هي تحويل طبع وصورة وفعل شيء ما إلى طبع وصورة وفعل الشيء الذي يتحول اليه،كتحول امرأة لوط إلى عمود ملح، وتحويل عصا هرون إلى ثعبان، وتحويل ماء النهر في مصر إلى دم، وتحويل الماء في عرس قانا الجليل إلى خمر. وأما الإستحاله السرية التي لا تدخل تحت الحواس فهي إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه في سر الإفخارستيا، وإن قال المعترض كيف يكون ذلك فنرد عليه بأن أعمال الله لا يسأل عنها بكيف.

أما قول المعترض أن الخبز والخمر هما من نباتات الأرض فإنه إذا تأمل في فعل الطبيعة وجد أن كل جسد ودم هما من نبات الأرض ويعودان أيضاً نباتاً، وهذا أمر مسلم به، وأما صيرورتهما جسد المسيح ودمه فهذا موكل لفعل القدرة الإلهية التي لا يشك فيها.

سابعاً: يقولون كيف أن الذي سلمه السيد المسيح لتلاميذه هو جسده ودمه، مع أنه كان جالساً في وسطهم، ولم يسلمهم إلا خبزاً وخمراً منظورين.

الرد: أن هذا الإعتراض ليس موجهاً لنا، وإنما هو موجه لشخص السيد، لأن هو الذي قال هذا وفعل هكذا، وقد سبق أن إعترض بهذا الإعتراض قائلين: "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل" فسمعوا جوابه المسكت "**إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. لأن جسدي مأكل حق ودمي مأكل حق**".

وليقل لنا الذين يهتمون بحكم الحواس كيف صير الله نار أتون بابل على الفتيه الثلاثه كنسيم بارد، حتى أنها لم تؤثر في أجسامهم ولا في شعورهم ولا في رائحة ثيابهم. فإن قالوا قد نزعت منها قوة الإحتراق.. فنجيبهم كيف إذاً أحرقت الكلدانيين الذين إقتربوا منها؟ وإن كان فيها قوة الإحتراق فلماذا لم تحرق الفتيه؟ كيف تكون النار حارة وباردة في آن واحد؟ هل يمكن أن يُفهم ذلك بالحواس. وكيف أشبع السيد المسيح الألوف من خمسة أرغفة وسمكتين وفضل عنها اثنتي عشرة قفه من الكسر. وكيف تجسد المسيح في بطن السيدة العذراء وهو ماليء الكون ،وكيف صُلب على الصليب وهو مع ذلك لا يزال في حضن أبيه، وكيف خرج من القبر وهو مختوم والحراس واقفون على بابه. وكيف دخل على التلاميذ والأبواب مُغلقّه؟ ألانعترف بأن الديانه المسيحية كلها أسرار فائقة لا قدرة للعقل ولا للحواس على إدراكها.

الفصل السادس : تساؤل أخير : هل تناول يهوذا؟

يهوذا الإسخريوطي خرج من العلية بعد الإحتفال بفصح العهد القديم وقبل أن يقيم السيد المسيح سر العشاء الرباني. الأمر الذي أكّده مراراً مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث.

هل تناول يهوذا جسد الرب ودمه ؟ وما الدليل

يهوذا لم يتناول جسد الرب ودمه والدليل هو الآتي :

أولاً: طقس الفصح والعشاء الأخير

إتبعت العائلات اليهودية النمط ذاته تقريباً في تناولها لعشاء الفصح وكانت تستهل هذا العشاء بصلاة إفتتاحية (بركة الكأس الأولى بين أربعة كؤوس خمر تمرر على المائدة أثناء الإحتفال)

ثم يأخذ كل فرد قليلاً من العشب ويغمسه في ماء مالحة (انظرمتى ٢٦: ٢٣)

بعد ذلك يأخذ رب العائلة أحد أرغفة الفطير الثلاثة فيكسره ويضع قطعة منه جانباً. ثم تُخبر قصة الفصح كرد على سؤال الأصغر سناً بين أفراد العائلة ويرنم الحاضرين المزمورين ١١٣، ١١٤

- وبعدها تملأ الكأس الثانية (لو٢٢: ١٧) ويشرب منها الجميع

وتتلى صلاة الشكر ويكسر الخبز. ثم توزع أعشاب مرة بعد غمسها بالصلصة

"هنا أعطى يسوع اللقمة ليهوذا"(يو١٣: ٢٦) .....(أعطاه اللقمة وليس جسده ودمه)

- بعد ذلك يصل الإحتفال إلى ذروته عند البدء يأكل الحمل المشوي. محور عشاء الفصح

- وهنا بعد العشاء أسس يسوع (المسيح) العشاء الرباني فكسر الخبز الذي سبق ووُضع جانباً ، ثم مرر كأس الخمر الثالثة "كأس البركة"

وقالوا العبارة " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦: ٢٦- ٢٨)

- وكا ن الإحتفال بالفصح ينتهي عادةً بترنم المزامير ١١٥- ١١٨ والمزمور ١٣٦ والتي تدعى هليل (أو هللويا) وهذا على الأرجح ما أشار إليه في (متى ٢٦: ٣٠).

- ثم يشرب كأس الخمر الرابعة (كنوع من الشكر)

فمن هذا السرد لطقس الفصح نتأكد بأن اللقمة التي أعطاها الرب يسوع ليهوذا وأخذها يهوذا أو غمسها في الصحفة في (مرق الفصح)مع(بهرات)من أعشاب مرة هي جزء من الفصح اليهودي وأخذ اللقمة وخرج.

- وبالتالي لم يتناول من كأس البركة (الكأس الثالثة) التي قدسها الرب وقدمها بطريقة سرائرية – دمه الذي للعهد الجديد.

- وهذا أكده الرسول بولس في (١كو١٠: ١٦) " كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح ؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح ؟.

- وكذلك نراجع (١كو ١١: ٢٣- ٢٥) بعد العشاء أخذ الكأس .....

يقصد عشاء الفصح الذي شارك فيه يهوذا في البداية وأخذ اللقمة وخرج

ثانياً: يجيب على هذا السؤال أيضاً نيافة الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ ورئيس دير القديسة دميانة بالبراري (في كتابه مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية)

قائلاً : لم يتناول يهوذا من عشاء العهد الجديد، أي من الإفخارستيا لقد كان يسوع يعلم أن يهوذا سيسلمه، فقال في ليلة العشاء الرباني "هوذا يد الذي يسلمني هي معي على المائدة " (لو٢٢: ٢١) وذلك قبل أن يعطيهم جسده ودمه ..... وجاء في إنجيل يوحنا عن هذا الأمر "أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي" (يو١٣: ٢٦)

وأعطاه السيد المسيح اللقمة من فصح العشاء اليهودي وليس من عشاء الرب فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً. فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه "(يو١٣: ٣٠، ٣١)

وينبغي ملاحظة أن إنجيل القديس متى وإنجيل القديس مرقس ذكرا حديث الرب عن خيانة يهوذا قبل أن يمنح السيد جسده ودمه للتلاميذ أما إنجيل القديس لوقا فهو لا يلتزم بالترتيب الزمني للأحداث مثلما ذكر إلقاء يوحنا المعمدان فى السجن قبل أن يذكر عماده للسيد المسيح في نهر الاردن

ثم بدأ السيد المسيح بعد ذلك يصنع القداس لأن يهوذا لا يستحق أن يتناول من جسد الرب ودمه . لذلك في سياق حديث المسيح المبكر عن التناول من جسده ودمه "أجابهم يسوع أليس إني أنا اخترتكم الإثنى عشر وواحد منكم شيطان (يو ٦: ٧٠)

وكأنه يقول: إنني أتكلم عن جسدي وأنتم الخاصة التي لي سوف أعطيكم جسدي ولكن واحد منكم لا يمكن أن يأخذه، وقد حقق الرب هذا الوعد

ونتناول بالشرح ما ورد في الأناجيل المقدسة حول هذا الموضوع الهام لتأكيد أن السيد المسيح لم يسمح ليهوذا التلميذ الخائن أن يتناول من جسده ودمه الأقدسين، لأن السيد المسيح كان يعلم بخيانته، وما أضمر في قلبه بكل تصميم أن يفعله.

أولاً : إنجيل القديس متى

يقول معلمنا متى الإنجيلي : "ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح. ولما كان المساء إتكأ مع الإثنى عشر. وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلّمني. فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب؟ فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني. إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه. ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد. فأجاب يهوذا مسلّمه وقال هل أنا هو يا سيدي؟ قال له أنت قلت" (مت٢٦: ١٩-٢٥).

يتضح من هذا الفصل من الإنجيل أن السيد المسيح قد أعلن خيانة أحد التلاميذ له (الذي هو يهوذا) أثناء أكل الفصح الخاص بالعهد القديم بدليل قول السيد "الذي يغمس يده معي في الصحفة" وقول الإنجيل "وفيما هم يأكلون" ويقصد بذلك الفصح الذي أعدوه.

ولم يشأ السيد المسيح أن يفضح يهوذا علانية أمام زملاؤه من الرسل ولكنه قال ليهوذا أنه هو الذى يسلمه، كما أنه أنبأ يوحنا وبطرس الرسولين بطريقة خفية عندما سأله يوحنا الرسول عن هذا الأمر (وهذا ما سنوضحه فيما بعد عند حديثنا عن إنجيل يوحنا).

ويستطرد القديس متى بعد الفقرة السابقة ويقول في سرد إنجيله "وفيما هم يأكلون، أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً إشربوا منها كلكم. لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبي. ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون" (مت٢٦: ٢٦-٣٠).

يتضح أيضاً من هذه الفقرة من الإنجيل أن العشاء الرباني قد أقيم بعد الحديث عن خيانة يهوذا وبعد الحديث عن يهوذا نفسه. وأن السيد المسيح لم يتكلم شيئاً عن هذا الأمر بعد أن أعطى جسده ودمه للتلاميذ، بل سبحوا مباشرة وخرجوا إلى جبل الزيتون.

هذا التسبيح كان جزءاً من العبادة، وقد جاء مباشرة بعد الفترة المقدسة التي قضاها السيد المسيح مع تلاميذه حول مائدة العشاء الرباني ودار فيها الحديث عن المحبة بين التلاميذ وعن الروح القدس (أنظر يو١٤-١٦).

وفي الطريق إلى جبل الزيتون تحدث السيد المسيح عن شك التلاميذ وعن إنكار بطرس حتى وصلوا إلى جثسيماني (مت٢٦: ٣١-٣٦).

ثانياً : إنجيل القديس مرقس

سرد معلمنا مرقس الإنجيلى سعى يهوذا لتسليم السيد المسيح فقال "ثم أن يهوذا الإسخريوطى واحداً من الإثنى عشر مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلّمه إليهم ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة وكان يطلب كيف يسلّمه في فرصة موافقة" (مر١٤: ١٠-١١). وهذا تقريباً هو نفس ما ذكره القديس متى الإنجيلي عن هذا الأمر.

وقد جاء سرد القديس مرقس لأحداث الفصح مطابقاً لما سرده القديس متى في إنجيله في كل التفاصيل إبتداءً من إعلان خيانة أحد التلاميذ أثناء أكل فصح العهد القديم إلى تأسيس سر العشاء الرباني وخروجهم إلى جبل الزيتون والحديث عن شك التلاميذ وإنكار بطرس.

وبهذا تتأكد نفس الحقائق التي شرحناها في الحديث عن إنجيل متى.

ثالثاً : إنجيل القديس يوحنا

وقد أوردنا هنا الحديث عن إنجيل القديس يوحنا قبل الحديث عن إنجيل القديس لوقا وذلك لأن ما ورد في إنحيل القديس لوقا له مبعث خاص.

كتب القديس يوحنا إنجيله في وقت متأخر عن باقي الأناجيل الثلاثة. أي بعد كتابتها جميعاً بحوالي ثلاثين عاماً. وكان العشاء الرباني وطقس القداس الإلهي قد إنتشر بين الكنائس متضمناً ما قاله السيد المسيح في ليلة آلامه على مائدة العشاء الرباني.

ولهذا فقد أورد القديس يوحنا كلام السيد المسيح عن التناول من جسده ودمه في الأصحاح السادس أي في بداية إنجيله أثناء حوار السيد المسيح مع اليهود بعد معجزة إشباع الجموع من الخبز والسمك.

وقتها قال السيد المسيح لليهود. "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٥١).

وهنا ربط السيد المسيح بين جسده المبذول على الصليب وبين جسده الممنوح في سر القربان المقدس، أنه نفس الجسد.

وحينما تعجب اليهود من هذا الكلام قال لهم السيد "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٤-٥٦).

وكما رأينا سابقاً فيما ورد في إنحيل القديس متى، فإن السيد المسيح قد أكد لتلاميذه في العشاء الأخير ما سبق أن قاله لليهود عن إعطائه لجسده المكسور ودمه المسفوك. إذ قال "خذوا كلوا هذا هو جسدي... إشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" وهذا هو الإرتباط بين سر العشاء الرباني وبين عملية الفداء على الصليب نفس الجسد المبذول، ونفس الدم المسفوك... مأكل حق ومشرب حق لغفران الخطايا، وللثبات في المسيح، وللحياة الأبدية (يعطى عنا خلاصاً، وغفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن يتناول منه) (القداس الإلهي)

وقد أورد القديس يوحنا في إنجيله فقط ما لم تورده باقي الأناجيل عن جسد الرب ودمه وعن العشاء الأخير من خدمة غسل الأرجل إلى بعض فقرات من حديث الرب مع يهوذا الإسخريوطي ولم يورد ما يقال في صلاة القداس الإلهي من كلمات السيد المذكورة في باقي الأناجيل مثل قوله خذوا كلوا... خذوا إشربوا منها كلكم... ألخ.

وقد أوضح القديس يوحنا في إنجيله بصورة لا تدع مجالاً للشك أن يهوذا الإسخريوطي

قد خرج من العلية أثناء الفصح اليهودي قبل إقامة العشاء الرباني. ولكن كان حاضراً عند غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه.

لهذا قال السيد المسيح لبطرس وللتلاميذ "الذي قد إغتسل ليس له حاجة إلاّ إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم. لأنه عرف مسلّمه لذلك قال لستم كلكم طاهرين" (يو١٣: ١٠-١١).

وبعد أن سرد القديس يوحنا قصة غسل الأرجل أثناء الفصح اليهودي، إستطرد يقول "ولما قال يسوع هذا إضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمني. فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه. وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه. فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه فإتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيد من هو. أجاب يسوع هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة. وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلّمه به. لأن قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له إشتر ما نحتاج إليه للعيد. أو أن يعطي شيء للفقراء. فذاك لما أخذ اللقمه خرج للوقت وكان ليلاً. فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن الإنسان وتمجّد الله فيه. إن كان الله قد تمجّد فيه؛ فإن الله سيمجّده في ذاته ويمجده سريعاً" (يو١٣: ٢١-٣٢).

+ الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه.

+ ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة.

كان السيد يحاول أن يثني يهوذا عن الخيانة إشفاقاً عليه، ولكنه في نفس الوقت كان ينتظر توبته وعدوله، وقام مراراً بتحذيره حتى أنه أظهر له معرفته بأنه هو الذي سيسلّمه. ولكن يهوذا حينما أخذ اللقمة ولم يرجع عن قصده الشرير دخله الشيطان لأنه رفض نصيحة السيد وتحذيره وبعدها قال له السيد المسيح "ما أنت تعمله فإعمله بأكثر سرعة" (يو١٣: ٢٧). أي إن كنت مصمماً على الخيانة فلا تبق هنا على المائدة التي لن يتناول منها إلا الطاهرون الذين إغتسلوا بالتوبة.

وإن كنت تنوي أن تتوب فليكن ذلك بسرعة قبل إقامة العشاء الرباني الذي كان الوقت قد حان لبدايته. وبالفعل خرج يهوذا مسرعاً منقاداً بفعل الشيطان الذي ملك على قلبه.

علاقة يهوذا بالشيطان

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي عمل الشيطان في قلب يهوذا، بل يقول القديس يوحنا الإنجيلي في بداية حديثه عن العشاء الأخير، وعن غسل أرجل التلاميذ "وأما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى. فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلّمه. يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وإتزر بها..." (يو١٣: ١-٤).

فمن الواضح هنا أن الشيطان كان يعمل بسلطان عجيب في قلب يهوذا، حتى أنه لم يتأثر بغسل السيد المسيح لرجليه بإتضاع لا يوصف.

+ كذلك أورد القديس لوقا في إنجيله أن الشيطان قد دخل في يهوذا الإسخريوطي قبل ذلك إذ قال "فدخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى الإسخريوطي وهو من جملة الإثنى عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. فواعدهم وكان يطلب فرصة ليسلّمه إليهم خلواً من جمع" (لو٢٢: ٣-٦).

+ إذاً تدرج الشيطان في عمله في قلب يهوذا. ألقى في قلبه أن يسلمه..، دخل الشيطان في يهوذا فمضى وتكلّم مع رؤساء الكهنة..، فبعد اللقمة دخله الشيطان...

في كل مرة كانت درجة تأثير الشيطان على يهوذا أقوى من سابقتها فمن درجة التفكير، إلى درجة التآمر، إلى درجة الخروج للتنفيذ، إلى درجة التنفيذ والخيانة الفعلية... وهكذا حتى وصل به إلى درجة اليأس من مراحم الرب فقتل نفسه وهلك هلاكاً أبدياً لا أمل بعده في الخلاص على الإطلاق وكان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد.

رابعاً : إنجيل القديس لوقا

طريقة القديس لوقا الإنجيلي في ترتيبه لسرد الأحداث تلتزم بالموضوع أكثر مما تلتزم بالترتيب الزمني للأحداث.

وهذا واضح من سرده لواقعة عماد السيد المسيح من يوحنا المعمدان.

فبعد أن أورد قصة يوحنا المعمدان ووعظه وكرازته بمعمودية التوبة، وتعميده للجموع في نهر الأردن. أورد أيضاً ما حدث من هيرودس الملك حينما قبض على يوحنا وألقاه في السجن لسبب توبيخه له على زواجه من هيروديا إمرأة أخيه فيلبس.

"أما هيرودس رئيس الربع فإذ توبّخ منه لسبب هيروديا إمراة فيلبس أخيه ولسبب جميع الشرور التي كان هيرودس يفعلها. زاد هذا أيضاً على الجميع أنه حبس يوحنا في السجن" (لو٣: ١٩،٢٠). ومن المعلوم طبعاً حسبما ورد في الأناجيل - أن السيد المسيح قد إعتمد من يوحنا في نهر الأردن قبل إلقاء يوحنا في السجن وإستشهاده وهو في السجن.

ولكن القديس لوقا، بعد أن ذكر إلقاء يوحنا المعمدان فى السجن إستطرد يقول "ولما إعتمد جميع الشعب إعتمد يسوع أيضاً. وإذا كان يصلي إنفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة... (لو٣: ٢١،٢٢).

ومن الواضح أن القديس لوقا قصد بهذا أن يسوع قد إعتمد ضمن جموع الشعب الذين إعتمدوا من يوحنا قبل إلقائه في السجن، ولكن أورد هذه الواقعة حينما بدأ الحديث عن خدمة السيد المسيح بعماده وخروجه إلى البرية ليجرّب من إبليس. وكان قبلها قد حكى قصة يوحنا المعمدان متضمنة ما فعله به الملك هيرودس. وهو بهذا إلتزم بالموضوع أكثر مما بالترتيب الزمني للأحداث. أي أنه يسرد الموضوع بكامله قبل أن ينتقل إلى سرد موضوع آخر. تتشابك الأحداث في الموضوعين من جهة الترتيب الزمني. وهذا شيء طبيعي ولا يتناقض إطلاقاً مع طريقة باقي الإنجيليين في سرد حوادث الإنجيل.

العشاء الرباني

نفس الأمر تكرر عند سرد القديس لوقا للعشاء الأخير فإنه إستبقى الحديث عن خيانة يهوذا إلى ما بعد سرده لجميع أمور الفصح اليهودي والعشاء الرباني. فإستنتج البعض من هذا أن يهوذا كان حاضراً في وقت تأسيس العشاء الرباني، ولكن لم يقل إنجيل لوقا أن يهوذا قد إشترك في العشاء الرباني، ولا أنه كان حاضراً فيه.

كل ما في الأمر أن القديس لوقا قد بدأ حديثه عن العشاء والفصح بما قاله السيد المسيح حينما إتكأ والإثنى عشر رسولاً معه. "شهوة إشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم" (لو٢٢: ١٥). وبدأ في تناول عشاء الفصح الخاص بالعهد القديم فلم يكن من المناسب أن يخرج القديس لوقا من الحديث عن الفصح إلى سرد مسألة خيانة أحد الإثنى عشر ثم يعود إلى الحديث عن فصح العهد الجديد، لئلا يظن القارىء أن السيد المسيح قصد بكلامه فصح العهد القديم فقط. وبعد أن سرد أيضاً ما يختص بإقامة العشاء الرباني تطرق إلى الحديث عن خيانة يهوذا الإسخريوطي أحد الإثنى عشر.

فكما قلنا أن القديس لوقا في مرات عديدة في إنجيله، يرتب الأقوال ترتيباً موضوعياً لا ترتيباً زمنياً. فإذا درسنا الترتيب الزمني لمسأله خروج يهوذا من عُلية عشاء الفصح عن طريق باقي الأناجيل الثلاثة.

يتضح لنا أن الكتاب المقدس ينفي عن يهوذا الإسخريوطي أن يكون قد نال من الأقداس الإلهية في شركة الإفخارستيا، أي في القربان المقدس، لأنه لم يكن مستحقاً لهذا الأمر على الإطلاق. وقد حاول السيد أن يقتاده إلى التوبة، ولكنه لم يقبل. لهذا قطعه السيد المسيح من شركة الأسرار المقدسة.

حكمة عجيبة ليتنا نتعلم منها.

ولإلهنا الصالح كل مجد وكرامة وسجود منذ الآن وإلى أبد الأبدين أمين.

الفهرس

الباب الأول : مقدمة عامة	الصفحة
الفصل الأول : تعريف السر .	٨
الفصل الثاني : أهمية سر التناول عن باقى الأسرار .	٩
الفصل الثالث : ألقاب سر الافخارستيا .	١٠
الفصل الرابع :ذبيحة الافخارستيا هي بعينها ذبيحة الصليب.	١١
الفصل الخامس: ذبيحة الافخارستيا وشفاعة المسيح الكفارية.	١٥
الفصل السادس: سر الافخارستيا ذكرى عينية بالرب إلي مجيئه الثاني.	١٦
الفصل السابع: سر الافخارستيا سر الاستحالة .	١٧
الفصل الثامن: معني كلمة "افخارستيا".	٢٠
الفصل التاسع : معني كلمة "ليتورجيا" .	٢٠
الفصل العاشر: الافخارستيا والعهد الجديد.	٢١
الفصل الحادي عشر :سر الافخارستيا ذبيحة عن الأحياء وعن الأموات أيضاً.	٢٢
الفصل الثاني عشر :الغفران في سر الافخارستيا وسر التوبة .	٢٤
الفصل الثالث عشر:الثبات في سر الافخارستيا وسر الميرون .	٢٥
الفصل الرابع عشر:عدم انقسام القدسات مع تفصيل أجزائها ، ووحدة السر.	٢٦
الباب الثاني: رموز سر الافخارستيا في العهد القديم	
الفصل الأول : شجرة الحياة.	٢٧
الفصل الثاني: ملكي صادق.	٢٧
الفصل الثالث: خروف الفصح.	٢٨
الفصل الرابع: المن السماوي.	٣٠
الفصل الخامس:الماء النابع من الصخرة في حوريب.	٣٢
الفصل السادس: خبز الوجوه .	٣٢
الفصل السابع: جمرة إشعياء.	٣٢
الباب الثالث: نبوات العهد القديم عن سر الافخارستيا	
الفصل الأول: نبوة ملاخي النبي .	٣٥
الفصل الثاني: نبوة إشعياء النبي.	٣٦
الفصل الثالث: نبوة أرميا النبي.	٣٦
الفصل الرابع: وليمة الحكمة.	٣٦
الفصل الخامس: نشيد الإنشاد.	٣٦
الفصل السادس: وليمة المسيا.	٣٧
الفصل السابع: المزمور الثالث والعشرون.	٣٧

الصفحة

الباب الرابع: لماذا الخبز والخمر ؟!

الفصل الأول : للخمر أبعاد رمزية كثيرة. ٣٩
الفصل الثاني: كان للخبز مكانة خاصة. ٣٩
الفصل الثالث:وجوب استعمال الخبز والخمر ، وإدحاض بدعة الفطير. ٤٠

الباب الخامس : الشهادات المختلفة لسر الافخارستيا

الفصل الأول : شهادة الكتاب المقدس. ٤٨
الفصل الثاني: شهادة الآباء وأقوالهم. ٥٣
الفصل الثالث: المجامع المقدسة. ٥٧
الفصل الرابع : شهادة التاريخ. ٥٨
الفصل الخامس: صلوات القداس الإلهي. ٦٢

الباب السادس: بركات السر وفاعليته

الفصل الأول: الشركة والاتحاد في حياة السيد المسيح. ٦٣
الفصل الثاني: الخلاص والفداء وغفران الخطايا. ٦٥
الفصل الثالث : شركة آلام السيد المسيح. ٦٦
الفصل الرابع: غذاء الروح. ٦٦
الفصل الخامس : يحفظ حياتنا الروحية ويصونها. ٦٧
الفصل السادس: النمو والتقدم والاتحاد مع الله. ٦٨
الفصل السابع: يعدنا للأبدية السعيدة. ٦٨
الفصل الثامن: يعطينا الحياة. ٦٩
الفصل التاسع : سر انتظار المجيء الثاني. ٦٩
الفصل العاشر: توحد المؤمنين معاً. ٧٠

الباب السابع : الاستعداد للتناول باستحقاق

الفصل الأول:الاستعداد الروحي. ٧٤
الفصل الثاني :الاستعداد الجسدي. ٧٥
الفصل الثالث :بعض من الممنوعين من التناول. ٨٠
الفصل الرابع: مناولة الأطفال من السر. ٨٢
الفصل الخامس :وجوب التناول بتواتر من سر الافخارستيا. ٨٣

الباب الثامن : بعض الموضوعات المتعلقة بسر الافخارستيا

الفصل الأول :إيمان الكنيسة الأرثوذكسية فى هذا السر . ٨٦
الفصل الثاني:الذين أنكروا حقيقة هذا السر . ٨٦
الفصل الثالث:أثبات صحة الحقيقة الأرثوذكسية فى هذا السر. ٨٧
الفصل الرابع:الهرطقات التي ظهرت حول سر التناول المقدس . ٨٩
الفصل الخامس:بعض المزاعم في السر والرد عليها. ٩٠
الفصل السادس: تساؤل أخير. ٩٣